



حديقة البث

حسن الحلبي

تاكسي

2

مشروع القرن الثقافي
روايات مصرية للجيب

في كل رواية متعة دائمة

مكتبة فريق_متميزون
لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية
قام بالتحويل لهذا الكتاب



كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما امكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج اكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين ايديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة تاكسي

العدد رقم (02)

حديقة الجثث

تأليف: حسن الحلبي

مقدمة..

إن كانت هذه هي المرة الثانية لك معي؛ فأنت تعرفني من لقائنا السابق
حتماً، وتعرف أنني (سامر رمضان)، سائق تاكسي حالياً، وخبير في الأمور
التقنية والإلكترونية سابقاً، وعملت مع المخابرات العامة لمدة عامين بدلاً من
السجن؛ لما سببته من دمار بعدد هائل من أجهزة الكمبيوتر حول العالم، ذات
مرة..

إن كانت هذه هي المرة الثانية لك معي؛ فأنت تعلم أنني متزوج، وأن اسم
زوجتي (ديالا)، وأن ابني (كريم) في الصف الأول الابتدائي، وأن لي جاراً
صحفياً اسمه (يوسف)، وأنتى تعرفت بطريقة غريبة نوعاً ما على رائد
الشرطة (منذر خليل)، الذي يريد أن يكون مهمماً بأي شكل، وعلى (ديمتري)
عالم الفيزياء الكيميائية الذي يعشق (البوم)، المتائب طوال الوقت، وعلى
(همام خميس) الممرض الذي يقول بيتين من الشعر كل دقيقتين..

إن كانت هذه هي المرة الثانية لك معي؛ فأنت تعلم أنني قدمت استقالتى
من المخابرات العامة، وتفرغت للعمل كسائق تاكسي، بعد أن أصبت بثلاث
رصاصات فى صدرى بسبب أحد عملياتي القديمة، وبعد أن شعرت بالملل
الشديد من كل تلك الأمور التى أشعر أنها مناسبة للأفلام أكثر من الواقع؛
فأنا أكره المطاردات والرصاص ورجال العصابات وقضايا القتل والاعتقال،
وما شابهها من أمور لم تعد تثير حماسى..

إن كانت هذه هي المرة الثانية لك معي؛ فأنت تعلم أنني نلت إعجاب
(ديمتري) و(منذر)، وأنهما أخبرانى أنني - ربما - سأعمل معهما فى أية
قضايا لهم، بشرط أن تكون ذات علاقة حقيقية بما أعرف.. سأعمل معهما
بصورة غير رسمية بالطبع، فأنا سعيد بحياتى، والتاكسي يكفى معيشتى
وزيادة، ولا أريد أن أضع نفسى فى دائرة الخطر من جديد؛ كما كنتُ قبلاً..

أمّا إن كانت هذه هي المرة الأولى لك معي؛ فأنصحك بمراجعة السطور آنفة
الذكر، أو الكتيب السابق!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



١- يوم عادى..

عندما أجوع، لا أستطيع كبح جماح نفسى..
أمدُّ يدي نحو صحن الحمص الشامى الذى أمامى، أتناول لقمة صغيرة نوعًا
ما وأضعها فى فم (كريم)..

يضحك، يقبل يدي.. أتناول قطعة (مرتديلا) وأضعها فى فمى، بينما تنظر (ديالا)
وتقول:

- لماذا تصبح حنوتًا هكذا يوم الجمعة؟!

أنظر لها دون أن أجيب، أمدُّ يدي وأضع فى فمها قطعة (مرتديلا)، تبعد
رأسها وهى تضحك، أمسكها برفق وأضع قطعة المرتديلا رغم أنفها فى فمها!
نضحك جميعًا..

- لأنه يوم جمعة.. هذا أجمل يوم فى الأسبوع بالنسبة لى..

أقولها وأنظر لها، أرفع حاجبى الأيمن وأقول:

... لحظة! هل يعنى هذا أننى لست حنوتًا بقية الأيام؟!

تبتسم وهى تحتسى شيئًا من الشاي:

- لم أقل هذا.. الأمر فقط أن حنانك يزيد هذا اليوم بشكل أكبر.. لا أدرى، ربما
لأنه أكثر يوم تقضيه بيننا.. لا تذهب اليوم إلى العمل..

يهتف (كريم):

- نعم بابا، لا تذهب اليوم.. دعنا نذهب إلى غابة ما، أو حديقة معينة.. خُذنا
رحلة!

أبتسم وأربت على كتفه، أنظر لـ (ديالا) وأقول بخبث مبعَّدًا عيني عن عينيها:

- أى عمل فيهما تقصدين؟!

تعقد حاجبيها وتقول وهى تضع كوب الشاي جانبًا:

- التاكسى بالطبع.. ولا تقل لى شيئًا عن عمل المخابرات ذاك أرجوك.. ناقشنا
هذه القضية من قبل، كدت تموت مرّة.. لا أريد أن أكون أرملة فى هذا العمر..

- لكن الأمر ليس خطيرًا!!

أقولها دون أن أنظر لها؛ أيضًا..

المشكلة أن الحق معها، كدت أموت ذات مرّة.. حتى فى المرة السابقة كذلك، حين اختطفنى ذلك الياب الغامض(1)، لولا أننى احترست وتزودت باختراع لى فى أحشائى..

هذا ما أنقذنى، وهى تعلم أنهم - هُناك - فى المخابرات العامة قاموا بتوبيخى بعنف شديد، للطريقة العنيفة التى استخدمتها للتخلص منه؛ لكنها كانت الطريقة الوحيدة المضمونة، ولهذا لم أخبر أيًا من (ديمتري) و(منذر) عنها..

إذ - وكما فعلتُ سابقًا - قامت (السيدة)، وهى تلك الشريحة الصغيرة التى تسع مليار تيرا بايت - وهو رقم مذهل سيجعلُ أى خبير حاسوب يُجنّ، وأى شركة فى التقنيات والإلكترونيات تفعل كل شيء من أجل الحصول عليه - بتدمير آلاف الأجهزة الإلكترونية!

إننى لا أتعلّم؛ هذه مشكلة حقيقية..

تقول لى وهى تنظر فى عيني مباشرة، وتضغط على كل حرف من حروف كلماتها:

(1) لتفاصيل أكثر؛ راجع (الذين جاءوا)، الرواية رقم 1..

- (سامر).. الأمر خطير وأنت تدرك هذا، نحن أسرة جميلة ونعيش بخير.. التاكسى يؤمّن لنا كل ما نريد، وخصوصًا لأنه ملكنا، ولأن هذا البيت لنا كذلك..

- لا تنس أن هذا البيت لنا بسبب عملى السابق، المكافآت التى كنت آخذها وأضعها فى البنك آتت أكلها، لقد اشترينا البيت والسيارة منذ سنين.. صدقيني؛ لن يكون الأمر خطيرًا.. سأكون كائن فى جولة معتادة بالتاكسى..

تقول وهى تتأفف، وتنهض:

- أف! لا أدري ما الذى يعجبك فيه على أى حال!

أستطيع تفهم قلقها.. زوجة تعرف أن زوجها يملك إمكانيات هائلة، وأنه خبير إلكترونيات فذ، لكنها لا تريد له أن يعمل مع المخابرات؛ وهو لا يريد أن يعمل إلا سائق تاكسى؛ إنه مأزق..

مأزق حقيقى!

ينهض (كريم)، أنهض بدورى.. شبعثُ وزيادة والحمد لله، رغم أن هذه أول قاعدة يخالفنى فيها كل خبراء التنحيف فى العالم: لا تأكل بعد أن تشبع!

يمرّ الوقت سريعًا علينا فى غرفة الجلوس، (ديالا) تحدثنى عن صديقتها اللطيفة (سهير).. هذا وصفها هى، وليس وصفى أنا بالطبع.. بالنسبة لى فليس هناك إلا (ديالا)، هى اللطيفة الجميلة فحسب..

(كريم) يخبرنى عن هجوم أحد الأطفال عليه بالأمس، وكيف أنه باغته وضربه من الخلف..

أنظر له مؤنبًا وأخبره أن عليه أن يهاجمه من الأمام فى المرّة القادمة! تعاتبنى (ديالا) لكننى أقول لها إن عالمنا ملئ بالذئاب.. عليه أن يكون ذئبًا وإلاّ التهمه من حوله دون أن يشعر، يجب أن ينتبه لنفسه جيدًا..

يمرّ الوقت سريعًا؛ إلى أن يأتى أوان الوضوء، والذهاب إلى المسجد..

نتجه إليه أنا و(كريم) وقد ارتدى كل منا الثوب العربى: الدشداش وغطاء الرأس.. يوم الجمعة خاص بالنسبة لى؛ يستحق زياً خاصًا على الأقل؛ بجانب العبادات..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد الصلاة والتسوق فى السوبر ماركت ثم العودة إلى البيت؛ لم تتناقش أنا و(ديالا) فى الموضوع مرّة أخرى.. هذا أسلوبها معى، تقول ما عندها وتنصحنى بما فيه خير العائلة كلها، بعدها سيكون علّى أن أقرر بنفسى..

حسنًا، سأفعل الصواب..

أغير ملابسى، أرتدى قميصًا خفيفًا وبنطال كتان أسود، مع حذاءى الرياضى الأبيض، وأتجه إلى الباب..

- إلى أين؟!

تقولها لى مطلة برأسها من آخر الممرّ، ألتفت إليها وأجيب وأنا أفتح الباب:

- إلى العمل..

تستند إلى الباب وهى تسأل:

- والغداء؟!

أنظر إلى ساعتى، أقول وأنا أرفع عيني لها:

- سأعمل ساعتين فحسب، لا أحب ترك التاكسى جالسًا دون عمل، حتى لو كان هذا يوم راحة..

- التاكسى أم (ديمتري) و(منذر)؟!

أشعر جيدًا بالرائحة التى تفوح من كلماتها.. أبتسم وأقول، مرسلاً إليها قبلة عبر الهواء:

- التاكسى.. واطمئنى فلم يتصلا بى منذ تلك الحادثة.. لقد مرّ أسبوعان كاملان.. إنها قضية واحدة فحسب، لا أظن أنه سيكون هناك أخرى قبل وقت طويل..

.. ولم أكن أعرف أننى كنت مخطئاً!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تقول لى السيدة منكوشة الشعر، جاحظة العينين، التى تمسك سيجارة بيدها اليسرى فى عصبية؛ مستمّرة بشرح مشكلة زوجها الوغد لى:

... تخيل! رغم هذا كله فهو مستمّر بخيانتى.. تخلّيت عن أهلى لأجله، تركت عملى كى يرضى، لكنه يحب تكرار فعل الموبقات مع جميع من فى شركته.. الحقير! الحقير!

هؤلاء النسوة يقدننى للجنون.. كل واحدة تركب معى تظننى طبيبها النفسى الخاص، هل هذا يحدث مع كل سائقى التاكسى فى العالم؟!

لحسن الحظ كنا وصلنا إلى وجهتها فى هذه اللحظة.. أعطتنى الأجرة وهى ترغى وتزيد.. لكنها قالت قبل أن أذهب:

... بالمناسبة، لم أعرف أننى سأصادف سائق تاكسى يحبّ أن يستمع لمعزوفات (شوبان) يوم الجمعة!

أضحك وأنطلق بالسيارة وأنا أضع الورقة المالية التى أعطتنى إياها فى محفظتى؛ وأفكر..

لكل ورقة مالية قصة خاصة بها، لكل ورقة مغامرات رهيبة، لكل ورقة أمنية تتلخص بلسان تستطيع بواسطته أن نخبرنا عن الناس الذين كانت معهم، والأشخاص الذين عرفتهم، وطبقات البشر الذين أهانوها، أو أحبوها، أو قبلوها، أو أبغضوها..

أمشى وأتوقف عند الإشارة الضوئية، أتوقف قليلاً، يزعجنى الشاب الذى بجانبى بهذه الموسيقى العنيفة التى تنطلق من سماعات سيارته.. ألا يعرف بأن حريته تنتهى عندما تبدأ حرية الآخرين؟!

أتحرك، ويشير لى أحد الأشخاص فى الشارع بسبابته؛ هذه الحركة المعروفة التى تعنى أنه يريد منى أن أقله..

أتوقف بجانبه:

- إلى أين؟!

ملاحه مخيفة!

هذا أول شيء خطر فى بالى، لكن سرعان ما طردته، ليس لملاح الشخص علاقة بما هو عليه.. ربما هو متعب أو مرهق.. لا يهمنى فى الحقيقة..

بذلة رسمية سوداء، حقيبة معدنية فضية ضخمة، ملاح جاذبة جدًا، لكنها مخيفة.. يقترب من النافذة ويقول:

- إلى مكان ما..

أنظر إليه دون أن أجيب، أخفض صوت المسجل وأسأله:

- وأين سيارتك؟!

يتسم بزاوية فمه وهو يفتح باب التاكسى ويدخل:

- كيف عرفت أن معى سيارة؟!

أبتسم بدورى، وأقول ببساطة وهو يغلق الباب:

- كل من يرتدى هذه الملابس، وكل من يملك هذا النوع من الحقائب يكون معه سيارة.. لقد سئمت هذه الأمور!

أقولها وأنطلق بالسيارة، بينما هو يشير إلى سيارة (تويوتا) حديثة متوقفة مقابل إحدى البنايات:

- تلك سيارتى، لا أدري ما بها لكنها تعطلت فجأة.. كان من المفروض ألاّ يحصل هذا لكنه حدث..

لا أعلق، أرفع صوت المسجل قليلاً، ثم أسأله:

- حسناً! إلى أين؟!

يصمت لوهلة، قبل أن يجيبنى بغموض:

- إلى أقدم مقبرة فى المدينة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٢- المقبرة..

قالها بغموض، وإن كانت النبرة بريئة..

لكن هناك شيء آخر، من هذا الذى يذهب إلى المقبرة بهذه الملابس، وهذه الحقيبة؟!

هذا ليس من شأنى.. لعل هذه ملابسه وكفى، لعل حبيبته ماتت واشتاق لها وهو عائد إلى البيت، ربما والده ميت وأراد الحصول على بعض البركة، بعد الدعاء عند القبر..

- هناك عدة مقابر قديمة.. أيها تريد؟!

- الأقدم..

يقولها بإصرار، فأقول محاولاً التذكر:

- حسناً، أقدم مقبرة حسب علمى هى تلك التى قرب المستشفى، هناك فى طرف المدينة، لكنها مغلقة.. هل لك أحد هناك؟!

- أوصلنى فحسب..

يقولها بابتسامة حاول أن يجعلها طبيعية.. لكن تلك الحاسة تحركت داخلى، الحاسة التى كانت مدفونة وأعادها (منذر) و(عاشق اليوم) ذاك قبل أسبوعين؛ للعمل..

أشعر بشيء غريب!

أقود السيارة بهدوء.. تزدحم الشوارع بالحمقى الذين يجعلونك تتساءل: من منحهم حق القيادة؟! من أعطاهم الرخصة الرسمية لإثارة الجنون أينما كانوا؟!

(شوبان) يبهرنى.. لا أحب الاستماع كثيراً للمذياع فإنه لا يمنحنى حرية الاختيار، لهذا فإننى أضع ما أشاء من أغانٍ وموسيقى على الأقراص الليزرية، وأسمع فى التاكسى..

- ماذا فى الحقيبة؟!

لا أدرى ما الذى جعلنى أسأل هذا السؤال بغتة.. ينظر لى بدهشة ويقبض على الحقيبة بيديه الاثنتين، شعرت لوهلة أنه طفل صغير يقبض على دميته خوفاً من أن يمزقها أحد الكبار!

- لا شيء..

يقولها ببطء، وأقول:

- فارغة؟!

- ليست فارغة.. فيها أمر لا يعينك..

قالها بعدائية، فعرفت أن هناك أمرًا ما بالفعل!

إحساسى لا يخطئ، أدرك هذا جيدًا، وأعرف أن الرجل يخفى شيئًا ما فى الحقيبة..

هناك سرّ!

أتراه من (الياب)؟!

أبتسم فى أعماقى.. كلاً طبعًا؛ فأولاً: هذا ملامحه عادية وجديّة وليس فيها وسامة، ولا يشبه (الياب) إطلاقًا..

كما أن (ياب 469) أخبرنى قبل أن أدمره؛ عن كونه - هو ومن جاء معهم - الوحيدين الذين استطاعوا العبور بصعوبة؛ فقط كى أفتح بوابتهم؛ وهى موقع (الزهرة الخضراء) الإلكتروني؛ الذى دمرته تمامًا بعد انتهائى من تلك المواجهة، ولم يعد له أى أثر الآن..

لكن هناك سرّ!

- حسناً؛ كما تشاء يا صديقى..

أقولها مبتسمًا وأقف جانبًا بالسيارة، لقد وصلنا..

يمدّ يده إلى جيبه، يخرج ورقة مالية كبيرة، يعطينى إياها:

- احتفظ بالباقى..

يفتح باب التاكسى، يخرج منه برشاقة، يغلق الباب وهو يقول لى دون أن ينظر:

- شكرًا لك.. أعذر إن كنت عصبيًا، ولكننى أكون حساسًا نوعًا ما فيما يتعلق بعملى..

- أفهمك.. وأنا أيضًا مثلك، أنا أقتل كل من يزعجنى أثناء تأديتى عملى! حتى ابنى علمته هذا.. أخبرته أن يكون ذئبًا، وأن يلتهم الجميع!

قلتها له بابتسامة باردة، نظر لى فى عدم فهم ثم ضحك:

- أحب الذئاب!

قالها ومشى باتجاه باب المقبرة وهو ينظر لى بطرف عينه..
يبدو عاديًا، يبدو بريئًا.. ماذا الآن؟! هل سيبدأ جنون الارتياب معي؟! هل
سيصبح كل شيء غامض قليلاً فى نظري؛ عُرضة للاتهام والشكوك؟!
اللجنة يا (ديمتري) و(منذر)!

أبتعد بالسيارة عنه، ناظرًا إليه عن طريق المراة التى أمامي..
ماذا يفعل؟!!

لقد توقف، لم يدخل المقبرة وإنما استدار بوجهه نحو سيارتي.. وأخذ ينظر
فى ترقب.. ما هذا؟! هل يريد التأكد أننى غادرت؟!
الفأر يتحرك فى صدرى..

أدخل أول شارع مقابل، أدور دورة واسعة، أكاد أصطدم بحافلة صغيرة
لتحميل الركاب.. أضغط النفير بعنف وأتجه خلف المستشفى..

أنا سائق تاكسى، أعرف الطرق كلها، هذا ما جعلنى أصل إلى نقطة ما هنا،
أرى فيها باب المقبرة وأرى الرجل، بينما هو لا يستطيع رؤيتى..

أطفئ السيارة وأنظر له مستندًا بذراعى على المقود.. ها هو يفتح الحقيبة، لا
أستطيع رؤية ما بداخلها من هذه المسافة، لكنه يخرج منها جهازًا صغير
الحجم، يبدو مثل حاسوب محمول.. لا.. هو أقرب إلى (آى باد)؛ هو شاشة
فقط!

أو.. يبدو أقرب إلى جهاز تحديد الاتجاهات.. نعم.. أراه يحمل حقيبته بعد أن
أغلقها، ينظر إلى الشاشة ويمشى، ينظر حوله ويمشى، ينظر إلى الشاشة
ويمشى.. إنه يستعين بهذا الجهاز للتوجه إلى حيثما يريد..

.. يبدو أنه لا يقصد المقبرة بالضبط!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرجل يمشى..

لن أجعله يبتعد عن مجال رؤيتى، سأشغل السيارة وأتبعه دون أن يدرى
ويشعر..

يتلفت حوله، لا أحد منتبه له عداى، يسرع فى المشى وينظر إلى الشاشة،
أنا خلفه من بعيد.. أنا خلفه..

أنوقف يمينًا محاولاً ألا أجلب أى أنظار لى، لا أريد أن أكون مشبوهًا، ولا أريده أن يغيب عن عيني.. أخفض رأسى على مستوى المقود، أبتسم بسخريّة غير مناسبة، المقود الآن هو النسخة العصرية من الجريدة.. يعرف الكل أن العملاء السريين يستخدمون جريدة حين يلاحقون أحدهم؛ جريدة مثقوبة طبعًا كى يستطيعوا النظر من خلالها!

لكننى لست عميلًا سرّيًا، ولا ألاحق أحدهم الآن، وهذه ليست جريدة، وأنا لست فى عمليّة..

أنا إنسان فضولى للغاية!

يستمرّ الرجل بالمشى وأستمر خلفه، أتبعه كما أنا من بعيد، الشارع هادئ والناس قلة، والحركة على باب المستشفى عاديّة، هذا جيّد.. إننا لا نشير الشكوك؛ لا أنا ولا هو..

بغته توقف، نظر يمينًا ويسارًا، مرت حافلة لجمع النفايات لحسن حظى ولم يرنى.. إنه يتجه إلى تلك الحديقة..

اليوم الجمعة، الحديقة مغلقة.. (حديقة المجد) كما أطلق عليها محافظ العاصمة قبل عدة سنوات، عندما افتتحها فى ذكرى استقلال الوطن..

يقترّب من الباب، يمسك القفل ويعبث به قليلًا.. ما هذا؟! هل ينوى اقتحام الحديقة أم ماذا؟!

يفتح الباب.. يتلفت يمينًا ويسارًا من جديد، ثم يدخل ويغلق الباب خلفه.. الوغد! هناك أمر كبير سيحصل الآن..

أهبط من السيارة وأغلق الأبواب، أركض سريعًا نحو الحديقة وأنا ألهث.. انقطاعى عن الرياضة سيىء، ولا بد أن أعود لها كما كنت فى السابق..

أصل إلى الباب الضخم الذى فيه الكثير من الأسطوانات الحديدية.. أنظر إلى القفل، إنه مكسور!

كيف كسره؟!

أنظر عبر الباب، ومن خلال أعمدة الحديد.. إنه هناك! يمشى بسرعة متجهًا إلى نهاية الحديقة، لا يبدو أنه رآنى، ولا أريده أن يرانى..

أفتح الباب بهدوء وحذر وأدخل.. حمدًا لله، ليس هناك أى صرير له..

أدخل وأركض باتجاه السور الجانبى، سأراقبه وأمشى معه، ستحجب الأشجار أنظاره لى.. لا بد أن أكون حذرًا وألاّ أصدر صوتًا.. ستكون مشكلة، كما أننى لا أدرى مدى خطره.. ولا أعرف إن كان خطرًا أصلًا!

أحس الخطي، إنه يمشى ويتوقف قرب شجرة بعينها.. يبدو أنها الشجرة الأكبر
عمرًا هنا، أنها المعمرة، جدة المكان..

ينظر يمينًا ويسارًا، أحبس أنفاسي رغم أنه بعيد ولن يسمعني، أنظر له عبر
غصني ليمون مثمرين.. إنه لا يراني، هذا مطمئن بالفعل..

ينحني ويضع الحقيبة الفضية على الأرض، يفتحها، يُخرج منها جهازًا غريب
الشكل، يبدو أنها شاشة ضخمة، بحجم حاسوب محمول كبير الحجم، وبها
أزرار كثيرة ملونة، ضغط أحدها ببطء..

ما هذا؟!

ينهض واقفًا ويرفع الجهاز بيديه الاثنتين، يتحرك الجهاز في يديه.. أحسّ في
دهشة دون أن أتحرّك.. هل أهاجم عليه؟! لماذا أهاجمه أصلًا؟! ماذا فعل حتى
الآن؟!

لكنني قلق!

الجهاز يتحرك في يديه، يتحرك، وبغته تنطلق منه أشعة بنفسجية كثيفة..
كثيفة؟! نعم، كثيفة.. هذا أفضل وصف لها في رأسي، تبدو مجمعة بكثافة،
كما أنها ليست مريحة على الإطلاق..

الأشعة موجهة نحو الشجرة، التي بدأت تتحرك أيضًا، الأرض ذاتها بدأت
بالتحرك.. ما هذا؟! هل يتحرك العشب من حول الشجرة أيضًا؟! هل هو
يتطاير فعلاً كما أرى؟!

ما الذي يحدث؟!

أنظر وأضع يدي على فمي.. أريد أن أباغته الآن، أريد أن أصرخ، أريد أن أتصل
بهما؛ (ديمتري) و(منذر)..

لماذا لم أتصل بهما حتى الآن؟!

أتجاهل السؤال فور أن بدأ العشب بالتطاير أكثر..

رباه!

أدركت ما يفعل..

إنه يحفر الأرض بطريقته الخاصة..

.. إنه يبحث عن شيء ما!



٣- المتحول..

مرت ثلاث دقائق كاملة..

بالنسبة لى فقد مرّت كنهار كامل وأنا أنظر بصمت، دون أن أفعل شيئًا، ودون أن أتصل بأحد..

مرّت كنهار كامل، إلى أن توقف اهتزاز الأرض الخفيف، الملحوظ بنفس الوقت؛ ووضع الرجل الجهاز على الأرض..

أنظر إليه.. ها هو يقف على رأس حفرة ضخمة، تبدو بعمق مترين على الأقل، ويبدو أن هناك شيئًا ما داخلها..

ابتسامة الظفر فى وجهه تقول هذا!

هنا كان السيل قد بلغ الزبى - كما يقولون - عندى..

لم أعد أحتمل أكثر..

أنظر إليه، آخذ شهيقًا عميقًا وأهمّ أن أهاجم عليه، لا أدري إن كان هذا صحيحًا أم غبيًا؛ لكننى سأفعله.. ليس معى أى سلاح، ولم أتزود بأى شيء معى فى جولة مع بعد صلاة الجمعة المعتادة، ولا أعلم إن كان يملك سلاحًا هو بدوره؛ لكننى سأقوم بهذا مهما كانت العواقب..

أهمّ بأن أهاجم عليه راکضًا وصارخًا، ولكن قبل حدوث هذا بثوانٍ فقط؛ سمعت الصوت:

- أنت! ماذا تفعل عندك؟!

أتوقف دفعة واحدة عن تنفيذ ما كان يدور فى رأسى، أنظر إلى مصدر الصوت.. إنه حارس الحديقة.. كنت أتساءل داخلى أين ذهب؟!

يقترّب الحارس البدين، ينظر فى شك نحو الرجل، ينظر فى ذهول إلى الحفرة التى فى الأرض:

... ما هذا؟! كيف استطعت أن تفعل هذا؟! لم أغب سوى ثلث ساعة لتناول الغداء!

لهذا كان مختلفيًا.. جميل.. الرجل ينظر نحوه دون أن يتكلم.. اللعنة! ملامحه مخيفة بالفعل!

يبدو الخوف على الحارس، لكنه يقترب وهو يقول، محاولاً إخراج مسدسه من جرابه:

... أجبني، من أنت؟! كيف استطعت...

لم يكمل عبارته..

لم يكملها أبدًا..

قاطعه الرجل فجأة بآخر شيء كنت أتصور حدوثه في حياتي كلها؛ أمامي..

لقد انحنى بغتة إلى الأمام، على يديه، وتحور جسده بسرعة مذهلة لم أتخيلها، وانقلبت ملامحه، وتغيّر شكله، وانكمش جسده الطويل، واختفت ملبسه، وتحول إلى ذئب!

ذئب؟!

ذئب؛ أم مذؤوب؟!

هل تخذعني عيناى؟!

هل أهلوس؟!

هل الرجل البدين ذاك يهلوس أيضًا؟!

لا.. الذئب يهجم عليه بالفعل، الرجل يصرخ، يتراجع إلى الخلف وهو يصرخ في ذعر، في رعب، في هلع رهيب.. إنه يحاول أن يحمي وجهه بيديه، لكن الذئب يقفز نحوه وأنا ما زلت صامتًا، أنظر وجسدي يرتجف، كل خلية مني تنتفض، لا صوت لى ولا حركة لئلا يحدث لى ما يحدث للحارس، الذى أخذ الذئب يمزقه الآن..

دماء.. دماء..

الأشلاء تتطاير..

ما هذا بالضبط؟!

أرفع هاتفى أخيرًا، إنه على الوضع الصامت كما وضعته منذ أن دخلت إلى الحديقة، أنظر إلى الشاشة وأضغط رقم (منذر) المحفوظ سلفًا، وأتصل به..

أخفض الصوت، وأنا أنظر إلى الذئب الذى انتهى من تمزيق الحارس.. أبتلع ريقى فى بطاء، أنفاسى متلاحقة، أحاول أن أخفض الصوت قدر استطاعتي..

- آلو.. (سامر)؟!

صوت (منذر) المتفاجئ المندهش، يبدو مستغربًا جدًّا، يبدو رائعًا فى هذه اللحظة لى..

أنظر إلى الذئب الذى نهض عن الجثة، ومشى على أربع، مبتعدًا عنها، متجهًا إلى الحقيبة، والجهاز، والحفرة..

أرفع الهاتف وأنا مرتجف نحو فمى، أهمس بصوت خافت مراقبًا الذئب:

- (منذر).. لا وقت لى؛ أنا فى (حديقة المجد)، أمامى ذئب قام بالتهام حارس الحديقة، الآن!

انتهيت من العبارة ليحصل ذاك الشيء من جديد، ولكن بالعكس!

لقد استطال جسد الذئب، تمدد، تضخَّم، ووقف على رجليه الخلفيتين بغتة كالبشر، وظهرت نفس ملابسه - التى كان يرتديها قبل أن يتحول - من اللامكان، وتغيرت ملامحه وتفاصيله، وعاد شكله خلال ثوانٍ قليلة فقط؛ إلى ذات شكل الرجل الذى كان معى فى التاكسى..

الرجل الهادئ ذى الملامح المخيفة، والبذلة السوداء الأنيقة!

يتجه إلى الحفرة، يرمق الداخل بنظرة غريبة، و(منذر) يقول لى بصوت خافت:

- لا شك أنك جنت!

- اسمع أيها الوغد، إنه أمامى، وأنا خائف على حياتى!

يهمس:

- هاتفك مزوّد بكاميرا أمامية، أليس كذلك؟

أجيب:

- نعم..

- حاول أن تلتقط صورة له وأن ترسلها لى، سأحاول أن أستنتج وسيلة ما لفعل أى شيء.. هيا، بسرعة..

أقول بخفوت:

- شيء مثل ماذا؟!

- اترك هذا لى.. أرسل الصورة فحسب!

أحاول السيطرة على أعصابى، قلبى يدق بسرعة.. يجب ألا أكون خائفًا هكذا ولكن ما حصل قبل قليل غير سهل، جرب أن تحكيه لأحد وسينظر لك كما لو

أنك مجنون.. فكيف بى وأنا عشته؟!

أشهق وأزفر، أوجه الهاتف نحوه وأضغط زرّ التصوير.. كليك صامتة - والحمد لله، ومن ثم رأيت الصورة مطبوعة على الشاشة بوضوح..

- (منذر)، سأرسلها لك فورًا..

أقولها وأبحث فى الأسماء بسرعة، أجد اسمه وأضغط على زرّ الإرسال.. أنظر من جديد نحو ذلك الرجل الذئب، أو الذئب الرجل، ولكننى.. لا أجده!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ينقبض قلبى..

أين هو؟!

لا شك أنه عرف أننى هنا.. لا بد أنه سمعنى..

أترجع بظهري إلى الخلف، أسمع زمجرة غريبة، ألتفت خلفى بسرعة لأجده يقفز نحوى ويضرب صدرى بيديه ومخالبه بقوة.. أسقط أرضًا وأنا أصرخ من الألم والذعر.. ضربته قوية بالفعل وأنا لم أعد رشيقًا.. أشعر أن عظامى كلها تنّ، جسدى كله يحسّ بالألم لأول مرة منذ زمن بعيد!

أرفع يدى الاثنتين بحركة لا شعورية وأحمى وجهى، أنظر له وهو يقترب منى بهيئته الذئبية، قبل أن يتحول من جديد إلى ذلك الشّكل!

- كيف؟! من؟!

عدة كلمات تحاول الخروج من فمى ولكننى لا أسيطر على لسانى.. أيتها الوغد! لماذا لا تستجيب لى عندما أريد منك هذا؟!

- لم تستطع أن تتجاهل أمرى وكفى، أليس كذلك؟!

يقولها وهو ينظر لى ويقترب منى، وقد وضع يديه الاثنتين خلف ظهره.. أنظر إليه، ماذا يمكننى أن أقول؟!

يردف:

- لم يكن بإمكانك أن تتركنى فى حال سبيلى، أصررت على رؤيتى وتتبعتنى.. بالمناسبة! أنا أعرف أنك تلحق بى منذ أن نزلت من سيارتك الحمقاء!

- لقد قتلته!

أصرخ بها وأنا أشير إلى جثة الحارس.. هذا هو الشيء الوحيد الذى خطر فى بالى الآن؛ جوابًا له!

- ماذا؟!

- لقد قتلت الحارس أيها الوغد.. لماذا؟!

يبتسم بهدوء.. مشكلتى أننى أكره القتلة المبتسمين الذين يرون أن هذا النوع من الأسئلة مضحك!

- دعك منه واسمعنى الآن..

أصمت، وأنظر له، وهو يقول:

... فى داخل هذه الحفرة عدة أشياء تعود لنا، وكانت هذه الأشياء بمثابة خطة لا نريد استخدامها قبل وقت طويل، ويبدو أن الوقت قد حان..

- خطة من أجل ماذا؟! ومن أنتم بالضبط؟!

يتجاهل سؤالى ويكمل:

... كنت أعرف أنك خلفى ولهذا سمحت لك بأن تستمرّ بتتبعى لأن هذا ما أريده.. كنت أريدك أن تصل حتى هذه النقطة بمحض إرادتك، ودون أن يجبرك أحد!

اللعين! تراه يمزح؟!

كلا، لا أعتقد.. لم أقرأ أو أعرف يومًا أن الرجال الذئاب يحبّون المزاح.. إنهم عمليون جدًّا، جديون جدًّا، دمويون جدًّا؛ وهذا من أسباب تفوّقهم..

- بمحض إرادتى؟!

أسأله بفضول يخالطه الشك، فيجيب:

- هذه هى القوانين، لا بد أن تدخل هذه الحديقة بإرادتك، ودون أن يجبرك أحد، وهذا ما جعلتك تفعله، وأنت تظنّ أنّك تتصرّف من تلقاء ذاتك، لمجرد أنّك شككتّ بأمرى..

عقلى يعمل كدوامة، ماذا يريد منى؟! وما علاقتى بأى مذؤوب على أى حال؟! وأين (منذر) بالضبط؟! ما الذى يفعله الآن؟!

... لا تتحرك من هنا لئلا أمزقك، المشكلة أننى أحتاجك حيًّا.. لا بد من أن أقوم بالمزج ما بينك وبين الأشياء التى فى هذه الحفرة، بطريقتى الخاصة، حتى يحصل ما نريده!

- ما الذى تريدونه؟!

أهتف بها ويتجاهل سؤالى، بابتسامته اللزجة..

... ولماذا تحتاجنى حيًّا؟!

يتجاهل سؤالى أيضًا، أتمنى الآن لو أفصل رأسه عن جسده!

... ما الأشياء التى فى الحفرة؟!

يتجاهلنى من جديد.. لا بد أنه يعلم كم أنا مُستَقَرٌّ الآن! أشعر أنى قنبلة نووية على وشك الانفجار!

يقول لى محذّرًا:

- لا تتحرك، أحتاج أن تكون حيًّا وأن تكون بوعيك.. لا تضطرنى لاستخدام العنف معك!

سأحاول أن أظل هادئًا، وأدعو الله فى سرى أن ييسر شيئًا مع (منذر).. أين (ديمترى) الآن؟! ولماذا لم يخطر هو فى بالى قبل ذاك؟! لا أعرف.. سأحاول الآن أن أضع كل تركيزى فى الأمر الذى يحدث معى..

يتوجه المذوّوب نحو الحفرة، ويهبط فيها، وهذا بعد أن ألقى عَلىّ المزيد من النظرات التى تحمل التهديد والوعيد..

جسدى ما زال يؤلمنى، لا شك أنه ألقى بى عدة أمتار فى الهواء قبل سقوطى.. ما القوة التى عنده؟! هل من الذكاء - أصلاً - أن أسأل عن قوة مذوّوب، ومتحول؛ بنفس الوقت؟!

أنظر حولى.. لا يوجد أى طريق للهروب.. أمامى جثة الحارس الممزق، والمنطقة غارقة فى هدوء عجيب، ولا يوجد أى أحد..

يحيط بك الكثيرون أحيانًا وأنت لست بحاجة لهم، وتريد أن تشعر بالحرية لوحدك ولو قليلًا.. لكنك أحيانًا وفى حالات الوحدة القاتلة - حرفيًا لا مجازًا - كهذا الحال؛ لا تجدهم.. أين هم؟!

فى كل الجهات من حولى، لا شيء سوى الأشجار والعشب، وحتى لو تحاملت على نفسى ونهضت وهربت، لن أكون أسرع منه، وسيدركنى، ويعلم الله وحده ما الذى يمكن أن يحصل بعد هذا..

سيغضب جدًّا، وسينتقم منى بالتأكيد!

أحاول أن أبقى تنفسى منتظمًا، ثم أتذكر هاتفى فجأة.. أبحث عنه بعينى وأجده ملقى على بعد عدة أمتار.. أهّمّ بالزحف نحوه قبل أن أسمع أجمل

أصوات فى العالم..

طائرات هليوكبتر، سيارات جيب عسكرية، سيارات شرطة تطلق أبواقها، كل هذا انطلق بغتة فى صوت واحد وبطريقة مفاجئة مباغتة جعلتنى أنتفض أنا شخصيًا فى مكانى..

ورأيت (منذر) و(ديمترى)!

كانا - الوجدان الجميلان - فى الطائرة الثانية وقد حملت ملامحهما كل القلق الذى فى الكون - ربما لأن هناك مذؤوبًا فى الحفرة المجاورة لى -، وكل الاطمئنان الذى فى الأرض أيضًا، ربما لأننى ما زلتُ حيًا وأتَنفَس، وأنظر لهما بابتسامة حملت ألف معنى ومعنى!

أنظر لهما وهما يقتربان مع أرتال الجنود هذه، وأنظر نحو الحفرة فى خوف.. لعله الآن يخرج ويتخذنى رهينة، ولكن كيف؟! وهل سيتغلب على كل هذا الجمع أم ماذا؟!!

يبدو أنه كان يفكر معى، ويبدو أنه فكّر بسرعة فى أكثر الأمور التى ستساعده، ويبدو أنه سيجيب عن سؤالى بأسرع الطرق العمليّة..

فوجئنا جميعًا باندفاع ذلك الطائر من الحفرة..

طائر غريب، يكاد طوله لا يتجاوز المتر، أسود اللون ويبدو مثل الخفاش، لكنه حاد.. تبدو الحدة فى كل شيء فيه، زوايا جسده وجناحيه، أسلوب طيرانه، شكل وجهه الذى لم أتبينه جيدًا بسبب السرعة!

اندفع كالسهم - بالضبط - خارج الحفرة وانطلق فى الهواء بسرعة خارقة.. لمحناه فقط، كل ما عرفناه أننا لمحناه، وأن البعض حاول أن يطلق بعض الرصاص عليه لكن كان من المستحيل إصابته وهو بهذه السرعة، وهذا الحجم!

استطاع خداعنا جميعًا.. أليس متحولاً؟!

يدبّ النشاط فى جسدى، أحمل نفسى وأقف وأنا أرى الكل يندفع نحوى، وعلى رأسهم (منذر) و(ديمترى)..

بأخذانى بالأحضان، أتفاجأ بهبوط (همام) من الطائرة أيضًا.. أهلاً بك أنت أيضًا أيها الشاعر!

أسأله - أولاً - وأنا أضحك:

- ماذا تفعل هنا؟!

- اتصلا بى وأخبرانى بالموضوع، والتقطانى بالهليكوبتر من المستشفى،
دعنى أرى جرحك!

وبينما تركته يرى جرحى الذى سببه لى ذلك المتحول بمخالبه، التفت إلى
(منذر) وقلت له:

- كيف حددت مكانى؟! وما كل هذا؟!

أجاب (منذر) بابتسامة وهو يربت على كتف (ديمتري):

- أولاً: أنت قلت لى إنك فى (حديقة المجد)، وتكفل (فابيو) بوصف المكان
بدقة أكبر للجنود والطائرات.. لقد أخبرت (عاشق اليوم) عن هذا وأرسلت
له الصورة، ورآها (فابيو) مباشرة طبعًا كما تعرف!

أنظر إلى (ديمتري):

- أين بومتك؟!

- فى الشقة..

أجابنى، ثم أردف بعد أن تشاءب:

... دعنا نرى أولاً سبب هذه الفوضى كلها..

قالها ثم اتجه من فوره نحو الحفرة التى تجمع حولها بعض الجنود ورجال
الشرطة دون أن يهبطوا داخلها..

هتف (منذر):

- انتبه لئلا يكون هناك قنبلة، أو سلاح ما..

أتلّفت حولى فى تعجب، يسألنى:

- ماذا هناك؟!

- أنا الذى سأسألك ذات السؤال.. ماذا هناك؟! ما كل هؤلاء الجنود ورجال
الشرطة والمروحيات؟! ثلاث مروحيات لأجلى يا (منذر)؟!

يبتسم:

- الحقيقة أنك أصبحت مهمًا جدًّا للإدارة، يرون أنك مهم جدًّا للعمل، خبراتك
معنا فى المرة السابقة أذهلتهم، ويعجبهم كثيرًا غطاؤك الذى تستخدمه..

- أى غطاء؟!

- التاكسى..

- هذه حياتى يا (منذر)!

همّ بأن يقول شيئاً لولا أن فوجئنا بشهقة عالية من الحفرة.. شهقة تحمل صوت وانفعال (ديمتري)!

مشينا بسرعة نحوه وقلقنا يتعاضم، قبل أن يطل علينا بوجه ممتقع وهو يقول:

- لن تصدّقا ماذا وجدنا بالأسفل..

- ماذا؟!!

هتفنا بها أنا و(منذر) بنفس الوقت، قبل أن نرى تلك الأشياء الثلاثة التى يحملها الجنود ورجال الشرطة..

- رجالاً آليين!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٤- إنها مجرد روبوتات!

أوصلنى (منذر) و(ديمتري) بسيارة الشرطة إلى البيت، بعد أن طلبوا من أحد الرجال أن يقود التاكسى وراءنا..

لا يمكن لأحد تخيل مشاعر (ديالا) عندما عرفت بالأمر.. لم نقل لابننا (كريم) شيئاً طبعاً، هو عرف فقط أنني تعرضت لحادث صغير فى العمل..

وضعت الإدارة سيارتى شرطة أمام البيت.. السيارتان مدينتان كما هو معروف، ويرى الناظر لهما أن من فيهما شبان سخفاء، يستمعون للأغاني الأجنبية الخلية، بينما هم فى الحقيقة مجموعة من الرجال المتخفين الأكفاء..

ذلك المتحول صار طيراً وهرب، استغل نقاط قوته التى لا نعرفها واستخدمها ضدنا.. لهذا نحن فى قلق، لا نعرف عنه أى شيء سوى أنه يريدنى حياً، وأن هناك آليين فى الحفرة التى حفرها بيديه، عندما كان ذئباً!

أبتسم وأنا أفكر فى هذه النقطة، وتقول لى (ديالا):

- تبتسم؟!

أنظر لها وأضممها إلى.. جميل أن يكون لك ابن فى المدرسة، وأن يكون فى قلبك حب لزوجتك! هو ذات الحب الذى أحبته إياها أول الزواج..

صدّقونى! هذا شيء لن يتحقق إلا إن كان كل طرف يتمنى الخير للآخر بذات القدر الذى يتمناه لنفسه، ولن يحدث هذا إلا إن كان هناك تنازلات مستمرة من كل جهة، لكسب ودّ الجهة الأخرى!

أهمس فى أذنها القريبة من فمى:

- ملكتى أنتِ، إنها مجرد (روبوتات) لا تقلقى منها.. ليس لى علاقة بما يحدث ولا شك أن القضية انتهت..

ترفع رأسها وتنظر فى عيني مباشرة وتقول:

- كلا، لم تنته، وأنا أعلم هذا.. وأنت تعلم أنني أعلم هذا، فاترك هذه الحجج الصبانية.. هناك سيارتان لحمايتنا أمام الباب، وهناك طير هارب كان ذئباً قتل حارس الحديقة أمامك..

قالتها ووضعت يديها على جانبي رأسها فى ألم وأردفت:

... رباة! يؤلمنى رأسى! لا أصدق أن هذه الأشياء تحدث لزوجى أنا.. لا أصدق!

أقول فى حنان:

- بل صدقى، هذا هو نمط حياتنا وهذه هى طريقته.. نحن مضطرون لأن نتعايش معها.. هذا ليس بإرادتى يا حبيبتى، هو اختارنى كما اختارنى ذلك (الياب) قبله..

تغمغم، وقد شردت عيناها فى السقف:

- لماذا أنت بالذات؟!

أفكر معها قليلاً.. فعلاً؛ لماذا أنا بالذات؟!

فى تلك المرة المشؤومة كان يتعلق الأمر بموقع إلكترونى.. بماذا يتعلق الآن؟! بمدونة؟! أم بأغنية لم يعرف أحد كيفية تحميلها والاستمتاع بموسيقاها؟!

استفزنى التفكير بالأمر.. قلتُ محاولاً تغيير دفة الحديث:

- على كل حال، دَعِكِ من الأمر وحاولى أن تتعايشى معه، وأرجو أن يتوقف عند هذا الحد.. ما رأيك أن تعدى لنا كوبيين من النيسكافيه؟

- نيسكافيه أم لاتييه؟

- لاتييه؟! لا تقولى إنها تلك النكهة الخرافية التى جعلتنى أغمض عيني فى استمتاع طوال الوقت..

- نعم..

- حسناً.. ثلاثة أكواب، اثنان منهما لى!

تضحك وتنهض وتغيب داخل المطبخ..

أتأملها وأشرد قليلاً.. (منذر) و(ديمترى) عاكفان الآن على فحص أولئك الرجال الأكيين..

تراهم من الباب؟!

لا أظن، لقد كان كلام (ياب 469) واضحاً؛ هُم آخر اليابيين الموجودين.. لا يوجد سواهم، وباندثار آخرهم لم يعد لأى شيء يعود لهم أهمية..

لماذا أربط كل شيء بأولئك اليابيين؟!

ربما لأنهم التجربة الأولى الغربية جداً التى أراها فى حياتى، التجربة الأولى مع أشياء غير بشرية.. ربما..

على كل حال، سينتهى (ديمتري) و(منذر) من استكشاف (الآكين) اليوم، وسأعرف..

أهزّ كتفى، وأنهض من مكاني لأدخل إلى مكتبي الأنيق، الذى يبدو فوضويًا كالعادة.. المشكلة أننى فوضوى ولكن بطريقة بالغة الغرابة.. هل سمع أحدكم بالفوضى المهذبة؟! بالعشوائية الأنيقة؟!

«هذا أنا»؛ كما يقول (آدم) فى أغنيته!

أغلق الباب خلفي فى هدوء.. (ديالا) لا تدخل هذا المكتب إلا لتنظيفه، لكنها لا تميّز شيئًا من الأشياء الموجودة فيه إلاّ جهاز الحاسوب فقط، رغم أنه - هو أيضًا موصول بقطع كثيرة، لا يعرفها غيرى!

عندما أدخل شقة (ديمتري) المليئة باختراعاته؛ أضيع ولا أستطيع تمييز الأشياء هناك.. وعندما تتحدث (ديالا) مع شقيقتها أو والدتها على الهاتف، عن آخر موديلات الملابس الجديدة، أو أدوات الزينة الحديثة، وما شابهها من أمور نسائية غريبة؛ فإننى أشعر بنفس الشعور أيضًا..

لكل منا عالمه الخاص، ومكتبى هو عالمى الذى أجد فيه حرّيتى، أكثر بكثير من التاكسى طبعًا.. أشعر أحيانًا أنه - التاكسى - مجرد وسيلة نفسية أقوم بها تجاهى لمعالجتي.. لا أدري من أى مرض بالضبط؛ لكنه يقوم بهذا جيدًا!

أتأمل قطعتى الجديدة..

أمسكها بيدي وأحرق بكل جوانبها، أعمل عليها منذ عدة أيام، أبدأ ليلاً بالعمل عليها وأنتهى قبل الفجر بقليل.. أصلى الفجر وأنام، وأنطلق إلى العمل قبل الظهر.. هذا ما أفعله منذ أربعة أيام.. تقريبًا..

قطعتى هذه.. سلاح!

سلاح يقوم بتحويل الأكسجين إلى طاقة شديدة الحرارة، تسلخ الجلد عن العظم، باستعمال غاز خاص قمت باستخلاصه من البترول.. وضغطه إلى أقصى حدّ..

كل هذا فى ولاءة سجائر!

لا أدخن بالتأكيد، بل وأشعر أن المدخنين حمقى بإرادتهم، مع احترامى لهم جميعًا؛ لكننى - وكنوع من التحدى لنفسى وكى أثبت أننى ما زلت أملك مهارتى وبراعتي - قرّرت صنع هذا السلاح، فهو خفيف الوزن جدًّا، صغير الحجم، أضعه فى جيبي إن استطعت، ولن يشكّ فيه أحد، فهو مخادع، ويُستعمل - بنظر الجميع - لإشعال تلك اللفائف البيضاء التى أمقتها، والتى تسبب أمراضًا تكفى أسماؤها لإثارة اشمئزازى!

ولاعة سجائر قاتلة..

استعملتُ بصنعها هذا الغاز، مع بعض التوصيلات التى نزعناها من جهاز (آي باد) مستعمل، تعلمون أن هذه الأجهزة تحوى إلكترونيات دقيقة وضئيلة، ولكنها ذات مفعول هائل!

وضعتُ الولاة فى جيبى، بينما أقبلت (ديالا) ومعها أكواب (اللاتيه) الثلاثة.. أحسنتِ يا عزيزتى.. أحسنتِ..

جلست بجانبى، وناولتنى الكوب الأول.. شربتُ منه رشفة، ورن هاتفى بنفس الوقت..

- آلو..

- (سامر)، أنا (منذر)..

صوته قلق.. ماذا هناك يا ترى؟!

- ماذا هناك يا (منذر)؟!

- نريدك فورًا فى الشقة، الأمر خطير..

لا بد أنهم اكتشفوا شيئًا مهمًا بشأن (الآليين).. أقول له فى لهفة:

- هل عرفتُم شيئًا عن الآليين؟!

يقول فى توتر:

- بل أشياء.

- مثل ماذا؟!

يباغتنى ويجعل جسدى يرتجف:

- أعمارهم تتجاوز الألف سنة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٥- ألف سنة.. على الأقل!

حاولت جعل (ديالا) مطمئنة قدر استطاعتي، وأخبرتها أن شقة (ديمتري) محمية من قبل جيش من رجال الشرطة، وأن بيتنا سيظل محميًا كذلك من قبل الذين فى السيارات، كما أن هاتفى سيكون معي طوال الوقت بالطبع، ويمكنها الاتصال بى فى أى وقت طبعًا، كما تشاء، وسأردُّ على الفور..

هبطتُ سريعًا إلى التاكسى الجميل الرابض أمام باب البناية، ركبت فيه وانطلقت نحو شقة (ديمتري)..

ألف سنة؟!

آليون، وأعمارهم تتجاوز الألف سنة؟!

أخذ عقلى يعمل كالإعصار، وأخذتُ أنا بدورى أتجاهل الذين يشيرون لى بأيديهم.. أعتذر منكم أيها الناس؛ هُناك ما هو أهمُّ من أى شيء تريدونه الآن..

وصلت الشقة وصعدتُ الدرج بسرعة، ضغطت على زر الجرس وجاء (منذر) وفتح لى الباب:

- تفضل يا (سامر)..

- شكرًا..

نجامل بعضنا وكأنما لا يشغلنا شيء!

أدخل إلى الشقة الغربية، وكالعادة أنظر حولى.. ما زالت كما هى، بهذه الأشياء المجنونة المتناثرة فى كل زاوية وركن!

ينادينى (ديمتري):

- (سامر)، اقترِب..

أقترِب منه.. كان واقفًا وقد ارتدى منظارًا غريبًا يتكون من عدسة واحدة فقط على العين اليمنى، لم أكن أراها، كان يحدثنى وينظر لى بعينه اليسرى فقط.. الجميل أن النظارة لم تكن مستندة على ذراع معلق بالأذن، كانت بدون ذراع! وقد ذكرتنى - نوعًا ما - بنظارات (مورفيوس) فى فيلم (ماتريكس)!

أمامه كانت طاولة ضخمة لم أرها من قبل، لا شك أنه طلبها خصيصًا، وقد استقرَّ فوقها الآليون الثلاثة..

أنظر لهم عن قرب، للمرّة الأولى..

شكلهم غريب.. أنت تعرف (الآلى) بمجرد أن تراه، لكن هؤلاء كانوا آليين بشدة! وكانوا مصنوعين من معدن غريب مصقول له لون الفضة، ويملكون ذات تفاصيل الأجساد البشرية.. وجوههم كانت باردة، ثلجية، والعينان زجاجيتان مطفأتان، والفم شق رفيع مظلم.. ليس هناك أى تفاصيل أخرى! كان هناك بعض التراب أيضًا..

يقول (ديمتري):

- لم أكن أتخيل هذا عندما فحصتهم يا (سامر)، أنهم مصنوعون من معدن لم أستطع معرفته، هل تستطيع تخيل هذا؟!

أهزّ كتفى بما معناه أننى لا أعرف، ويشعل (منذر) سيجارة وينظر لنا فى اهتمام، بينما يتشاءب (عاشق البوم) ويقول:

- كما ترى.. فالملامح بسيطة وعادية جدًّا، ليس هناك ما يميزها وما يشى بأى شيء خارق.. إلا أننى عندما حاولت تحليل المعدن أو اختراقه فشلت..

- ماذا تعنى؟!

- لم أستطع اختراقه، ولا حرقه، ولا ثقبه! إنه معدن غريب جديد أثار شهيتى العلمية جدًّا، حاولت بشتى الطرق والوسائل التى أعرفها، لم أعرف.. فقط لم أعرف.. لكننى عندما عرضت الأمر على (فابيو)، وأخبرته أن يُجرى كل الاختبارات التى يعرفها ويستطيع القيام بها على الآليين؛ فوجئت بالنتيجة!

أهزّ رأسى، ويكمل:

... فوجئت حقًّا بنتيجة الفحص التى أكدت أن أعمار الآليين تصل الألف سنة على الأقل.. كيف هذا؟! ومن هذا الذى يزرع عدة آليين فى الأرض؟! وما الأسباب؟!

ونظر فى عيني مباشرة، مستطرّدًا:

... السؤال الأهم؛ ما علاقتك أنت بكل هذا؟!

يخيم صمت بعد سؤاله، لا صوت إلّا تنفسنا نحن الثلاثة.. التفكير يحتل كل عقولنا..

نعم، ما علاقتى بكل هذا؟!

لماذا أرادنى ذلك المتحول حيًّا، ولماذا كان لا بد وقتها من أن أكون فى وعي؟!

فى وعى؟!

لماذا يجب أن أكون فى وعى؟!

أفكر قليلاً بهذه النقطة، قبل أن يقول (منذر) محاولاً قطع الصمت الممل الذى استمر عدة دقائق:

- حاولت أن أتعب ذلك الطائر بعد أن أوصلناك إلى بيتك ولم أستطع..
الأقمار الصناعية ليست دقيقة وتستطيع تتبع الأشياء إلى هذا الحد!
أغمغم:

- لا بأس، لا بأس.. سيكشف عن نفسه عاجلاً أم آجلاً، علينا وقتها أن نكون جاهزين من أجله..

يرن هاتف (ديمتري) فجأة، ينهض من مقعده ويقول - بعد أن تتأهب بقوة:
- عندي خطة واسعة بشأن هذا، لكن عَلىَّ أن أذهب لآخذ هذا الاتصال أولاً، ثم أعود..

يخرج من الباب، ويغلقه خلفه..

- ما حكايته مع التأؤب؟!

- لا أدري، وأتمنى لو أدري..

أسأل (منذر) ويجيبني.. ثم أقول:

- (منذر)..

- نعم يا (سامر)..

- سأحاول أن أفكر بصوت مرتفع؛ لماذا كان يريدني المتحول حيًا، وبالذات أن أكون فى وعى؟!

يضع يده اليمنى تحت ذقنه كحكيم صيني، ويقول:

- همممممم! هذا شأنه.. لا بد أن هناك سرًّا يتعلق بك، وأنت نفسك لا تعرفه..

أنت صادق يا (منذر).. أفكر بيني وبينى!

هناك أمر يتعلق بى، ولا أعرفه.. لكن ما هو؟!

طفولتى كانت عادية، مراهقتى كانت عادية، حياتى كلها كانت عادية، زواجى كان عاديًا.. لا يوجد شيء غير عادى إلا اقتحامى عالم الاختراق والإنترنت

والتكنولوجيا بكل قواى، وبكل مهارة وبراعة وثقة، ومشاكسة!
يُفتح باب الشقة ويدخل (ديمتري)، ويقترب منا ويجلس على مقعده.. أقول له:

- ماذا هناك؟! لا تبدو سعيدًا..

- لا، لا شيء.. إنه اتصال أزعجنى فحسب..

ويلوح بكفه:

- دعكما منى الآن وأخبرانى، هل من جديد؟!

- بشأن ماذا؟!

- بشأن أى شيء..

ننظر أنا و(منذر) إليه فى دهشة، ثم نضحك.. ينظر لنا فى غضب قبل أن ينهض ويتجه إلى النافذة، ويزيح الستارة وينظر إلى الأسفل..

- هل هناك شيء يا (ديمتري)؟!

يسأله (منذر)، فيجيبه:

- لا.. لا شيء..

يبدو (ديمتري) مختلفًا!

أنتبه بغتة لهذا الأمر؛ شيء ما لا يبدو على ما يرام.. صوته ذات الصوت، ملابسه ذات الملابس، ملامحه، أسلوبه، طريقته فى المشى، والجلوس..

أعرفه منذ فترة قريبة لكنها كافية لى كى ألاحظ أى تغير، هُناك شيء مختلف.. هُناك شيء لا يبدو كما هو..

ينظر من النافذة، وأقول - أنا - بصوت خافت، وقد مددت يدي بهدوء نحو (منذر) محذرًا:

- اسمع..

- ماذا؟!

أقول بصوت حاولتُ أن أبدو فيه طبيعيًا:

- هذا ليس (ديمتري)!



٦- (ديمتري)..

ينظر لى (منذر) فى ذهول!

(ديمتري) ما يزال عند النافذة، لا أعرف ما الذى يفعله هناك بالضبط، ولكن موقعه كان ممتازًا بالنسبة لنا..

- هل معك سلاحك؟!

أقولها بصوت خافت للغاية، يميل (منذر) إلى الأمام وقد حملت ملامحه كل علامات عدم التصديق:

- نعم، ولكننى لا أصدقك..

- أنت تعرفه أكثر منى، هل وجدته طبيعيًا بعد أن عاد؟!

يتأمل (ديمتري) قليلًا، ثم يقول:

- معك حق، هناك شيء مختلف..

أهمّ بالنهوض بهدوء أنا و(منذر)، قبل أن نسمع صوت التصفيق من (ديمتري).. يلتفت إلينا بابتسامة مخيفة، وقد ثبتت عينيه علينا مباشرة..

- أنت لست (ديمتري)!

يقولها (منذر) وهو يشير له بسبابته، وأكمل أنا:

- أنت ذلك المتحول اللعين!

يضحك المتحول بصوت مرتفع.. يقترب منا ببطء بينما نتراجع نحن إلى الخلف، يخرج (منذر) سلاحه بسرعة ويصوبه نحوه:

- قف.. لا تقترب وإلا أطلقك عليك النار..

يقف المتحول، ويقول:

- حقًا؟! هل تعتقد أن هذا السلاح سيفعل شيئًا؟!

يتوتر (منذر) ويكاد يضغط على الزناد.. أنظر له نظرة محذرة ألا يفعل.. نحتاج هذا الرجل، نحتاجه لنعرف ما عنده من معلومات نجهلها!

- نعم، لا تضغط على الزناد، لا شك أنكم تريدوننى لتعرفوا حلول الألغاز التى تحيط بكم، والأسئلة التى تطرحونها على أنفسكم دون أن تجدوا أى إجابات

منطقية!

أهزّ رأسى إيجابًا، وأقول:

- من أنت؟! وما الذى تريده منى؟! ولماذا تحتاجنى حيًّا؟! ولماذا بوعى؟! و...

يقاطعنى رافعًا ذراعيه:

- لحظة، لحظة.. اهدأ قليلًا يا رجل..

يهتف (منذر):

- أين (ديمتري)؟!!

يلوّح بكفه فى لا مبالاة:

- آه! (ديمتري)؟! لا تقلق.. إنه غائب عن الوعى فى الخارج؛ لكمة واحدة على منتصف أنفه كانت كافية بالنسبة له ليسقط على الفور.. أنا الذى اتصلت به بالمناسبة لأستدرجه!

أنظر إليه وأقول بغضب:

- أيها الحقير..

يتجاهلنى ويقول - موجهًا نحونا سبابته:

- المهم الآن أن نركز فى وضعنا الحالى، أنت لا تملك شيئًا سوى خبرتك، وأنت لا تملك شيئًا سوى مسدسك، وهُناك مجموعة كبيرة من رجال الشرطة المتكرين فى الخارج.. أليس كذلك؟!

أدهشنى كلامه؛ كيف يعرف هذا؟!

يدهشنى أكثر، بل يذهلنى حين يبدأ شكله بالتماوج، والتذبذب، والتحول أمامنا إلى آخر شخص يمكن تصوّره..

(سامر رمضان)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ننظر إليه فى استغراب هائل، وذهول كامل!

أنا، أنظر إلى..

الموقف عجيب جدًّا، ولا يمكنك تصديقه ما لم تعيشه.. يبدو أننى لا أرى غير العجائب هذه الأيام!

أنظر له فى قلق، لقد تحول إلى.. إلى شكلى، نفس ملامحى وملابسى، وكل شيء..

ما خطوته القادمة يا ترى؟!

يقول (منذر)، وقد ألجمت المفاجأة لسانه، وصدمته بشدة:

- (سامر)، إنه أنت..

أقول:

- كلاً طبعاً، إنه أخذ شكلى ولكنه لن يكون مثلى أبداً..

يبتسم المتحول، ويقول:

- حسناً، ليس معى وقت كبير لذا سأقوم بما يجب على فعله، اعذرنى يا (منذر)..

قالها وقفز بسرعة غير عادية نحونا، بشراسة..

أغمضت عيني لا شعورياً وأنا أشهق، وسمعت صوت رصاصات نارية.. لم يسيطر (منذر) على يده التى فوق الزناد مباشرة، معه حق.. أى شخص فى مكانه كان سيطلق النار فور أن تحول الوغد إلى شكلى!

يرتطم شيء لى بجسدى، ونسقط سوياً على الأرض.. أفتح عيني لأجد أن هذا الشيء اللين هو (منذر)، فاقداً الوعي!

ينهض المتحول بهيئة (ديمتري) ويده المسدس، يصوبه نحوى فى استخفاف، أنهض عن الأرض بهدوء وأرفع يدي عالياً.. ليس أمامى حل سوى هذا كما أرى..

ينظر لى فى استخفاف، يحكم قبضته على المسدس، ويطحنه!

أنظر بذهول، صار المسدس فى يده قطعة مشوهة من الحديد، بحجم قبضته.. ثم ألقى بها نحو الحائط..

سقطت أرضاً، ونظر لى:

- أنت لا تعرف كم أنت مهم بالنسبة لنا..

أصمت قليلاً، ثم أقول برجاء:

- من أنتم بالضبط؟!

يجيبنى فى غموض، بعد صمت مماثل:

- ستعرف كل شيء فى وقته..

قالها واتجه نحو الطاولة التى يجلس عليها الآليون مردفًا:

- أما الآن؛ فعلينا عمل لا بد أن ننجزه..

تساؤل:

- أنا وأنت؟!

غموض:

- بل أنت، وأنا!

قدّم الضمير الذى يخصنى على الضمير الذى يخصه، لماذا؟! هل أهميتى فى هذا العمل تفوق أهميته؟!

يقترّب من الطاولة، يغمض عينيه، يقول عدة كلمات غريبة، بلغة مجهولة..
كلمات؟!

لم أهرب وأنا أنظر، فضولى كان يتفوّق عَلىِّ بمراحل، كما أن الهروب سيكون أغبى شيء ممكن أن أفعله الآن بعدما رأيت ما هو قادر عليه..
أستمرّ بالنظر، ويستمر هو بالتمتمة.. يبدو أنها كلمات تعويذة ما أو سحر..
تعويذة على آليين؛ يبدو هذا عجيبًا بحق!

فجأة ارتجف كل جسدى وارتعش، لقد تراجع الوغد إلى الخلف قليلًا، ونظر لى فى ظفر قائلًا:

- سينهضون!

لثوانٍ، لم أستوعب ما قاله، أو بالأحرى؛ لم أكن أريد أن أستوعب ما قال!
لقد بدأت أطرافهم بالتحرك، شيئًا فشيئًا، فى بطاء، وأنا أنظر فى رهبة وقلق.. بينما يبدو على وجهه - الذى يحمل ملامحى - علامات اللهفة والانتظار والترقب!

أمر مضحك؛ نحن اثنان فى غرفة واحدة؛ كل واحد منا له ذات الشكل، لكن ملامح كل شخص تختلف تمام الاختلاف عن الشخص الآخر!

نهضوا، واستووا جالسين، وأضيئت عيونهم بنور مشع قوى آذى عيني قليلًا،
وانبعث من شق الفم المغلق، لون أحمر هادئ..

بدا الثلاثة هاربين من فيلم خيال علمى متقن!

فرك المتحول يديه وهو ينظر إليهم، وقال:

- لقد استيقظوا بعد سبات!

- من هُم؟!

هتفت بها وأنا أنظر إليهم كالمأخوذ، وقد استولى عَلَيَّ منظرهم الغريب،
خصوصًا أنهم لم يهبطوا ليقفوا على الأرض، بل بقوا محلّقين فى الهواء،
معلقين فوق الأرض بعدّة سنتيمترات!

قال لى وعينه تبرقان فى شدة:

- هُم طريقنا للوصول..

- إلى أين؟!

همس:

- هُناك..

أكره الأجوبة التى لا تجيب على الأسئلة، ولا تزيد شيئًا سوى تعقيدها أكثر
فأكثر!

أسأل بلهفة شديدة:

- هُناك أين؟!

- هُناك.. فى مدينة الجماجم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٧- مدينة الجماجم..

لن أستغرب شيئًا، ولن أقول أنه يخرف، ولن أقول كما يمكن أن أقول فى موقف آخر:

لا شك أنه جُنّ!

أو: لا شك أننى جننت!

أو: لا شك أننى أحلم!

ما دام قد ذكر مدينة الجماجم، فلا شك أن هناك مدينة للجماجم.. هذا واضح..

المشكلة أننى شعرت بى وقد ضعْتُ تمامًا عند هذا الحدّ.. من أين هو أصلاً؟! وما هى مدينة الجماجم؟! ولماذا يريد الوصول إلى هناك؟! وكيف يكون الآليون طريق الوصول؟! وما علاقتى بهم على أى حال؟!

أترجم الفكرة الأخيرة إلى سؤال:

- ما علاقتى بكل شيء على أى حال؟!

ينظر لى:

- ستعرف، ستعرف..

قالها واقترب منى بسرعة، وسرعان ما وجدت نفسى أسقط فاقداً للوعى! لم يفعل شيئًا، لم يلقِ فى وجهى سائلًا ما، لم يقل كلمة معيّنة، لم يضربنى، لم يؤذنى..

فقط اقترب، لأسقط!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الذئاب تهاجمنى من كل صوب..

الشموس فيها وجه (ديالا).. أحبك أيتها الجميلة..

ينادينى (كريم):

- بابا، لا تسرع، نحن فى انتظارك!

أضحك.. الناس يضحكون.. القمر يضحك..

يتشاءب (ديمتري) فى قوة، ويركل وجهى..
يسعل (منذر) ويطفئ السيجارة بلسانه..
يهتف (همام) بوجه (المتنبى)، ويقطع رأسه بالسيف، بينما يصلح حصانه
بغضب..
الألوان تغادر الشمس.. يا لها من مسكينة! لم يبق فيها غير البياض فحسب..
الشمس بيضاء..
الليل أصفر..

الكائنات، الموجودات، الحقائق، الخيالات؛ كلها صارت فى مهبط النسيان..
وأنا.. فى سماء حمراء معتمة.. لا أعرف كيف صارت حمراء، ولا أدري كيف
لها أن تكون معتمة، ولكنها هكذا وحسب..
تمتدّ تلك اليد فجأة من السماء، كبيرة هى، ولها مخالب.. أصرخ وأصرخ..
أصرخ.. أبكى.. أشدّ شعرى..
وأستيقظ!

أهبط فجأة عن الأرض وقد غمرنى العرق.. صدرى يرتفع وينخفض كعداء
يركض منذ ساعات بلا توقف.. الشهيق والزفير يكاد يستهلك كل الأكسجين
من حولى..

أنظر فأرى المتحول أمامى وقد عاد لهيئته الأولى، وبجانبه الآليون الثلاثة..
أتأمل المكان، نحن فى ذات الحفرة التى صنعها عندما تبعته هنا، بإرادتى
الحرّة!

أعرف أن إدارة المخابرات العامّة وضعت بعض العملاء هنا لتأمين المكان،
وأعرف أنهم بحثوا فى الحفرة بعد أن أخرجوا الآليين لعلهم يجدون شيئاً
جديداً..

أولاً؛ أين العملاء؟!

ثانياً؛ هل ثمة شيء آخر فى الحفرة لم ينتبهوا لوجوده؟!

يقترّب منى المتحول:

- استيقظت، أليس كذلك؟!

أنظر إليه فى حقد وأقول:

- ماذا فعلت بالرجال؟! أين هم؟!

- لا تقلق عليهم، وابدأ بالقلق على نفسك..

- لماذا؟!

يقول دون اهتمام:

- لقد انتهى أمرهم، أنت الذى يجب أن تهتمّ لأمرك الآن، فافهم ما سأقول جيداً..

أنظر نحوه فى غضب شديد، أتمنى لو يكون بوسعى أن أهاجمه لأرتكب فيه العجائب.. لكن الشجاعة الآن تُعتبر قَمّة الحماقة، ومن الخطأ أن أتهوّر وأنا أعرف - جيداً - الفارق بين الصّفتين!

يقترّب وهو يقول، وقد مشى معه الآليون:

- أنت مهم لنا جدّاً، ولا أعرف لماذا.. لكننى أعرف أن هؤلاء الآليين مدفونين هنا منذ ألف وثلاثمائة سنة، بانتظار هذه اللحظة!

أقول فى تساؤل حقيقى:

- أى لحظة؟!

- لحظة وجودى أنا وأنت على خطّ زمنى واحد.. أنت لا تعرفى أننى مسافر، تنقلُ كثيراً من أجل هذه اللحظة! لحظة أن نلتقى على خطّ الزّمن.. ومن أجل أن يأتى اليوم الذى أستطيع فيه التمسك بهذه الأيام كي يتحقق الوصول إلى الباب..

لا أفهم شيئاً، لكننى أريد معرفة كل ما عنده!

يكمل:

... هؤلاء كانوا ينتظرون كما كنت أنتظر، هم مقاومون للوقت وعوامل الحياة بعكسى.. أنا كان لا بد أن أعانى كثيراً كي ألتقى بك، ولا بد لى من استغلال اللحظة حتى أقصى حدّ..

عن ماذا يتكلم؟!

من أنا حتى يتكلم عنى هكذا؟!

من أنا حتى يقول إنه عانى كثيراً حتى يلتقى بى؟!

يردّ:

... لم يكن من السّهل أبداً أن أضع خطة مضمونة لطريق رحلتى ووقتها.. كنت أقوم بحسابات عشوائية تكاد أن تقترب من التوقيت الصحيح، لكننى كنت

أخطئ في كل مرة، كما أن هذا شيء قرّره علىّ الرؤساء.. أنا مجرد عبد
مأمور!

يصمت قليلاً، يشرد في البعيد ويبدو أنه يتذكر عدة أشياء.. يستطرد:
... أحتاجك حيّاً لأنك الشخص المنتظر، ولأننا ننتظرك أنت بالذات كما أخبرتك..
وأحتاجك في وعيك لأن صوتك هو الذي يهّمنا، صوتك!
آها.. لهذا يريدني هذا اللعين حيّاً، وواعياً!
يفسّر عبارته الأخيرة:

... هناك غرفة، والوصول إليها يحتاج قوة لا أملكها وحدي، ولهذا وُضع هؤلاء
الآليون.. كما أن هناك كلمة سرّ، قولها يحتاج إلى صوتك! صوتك أنت سيفتح
البوابة بيننا وبين مدينة الجماجم، وسأعود إلى هناك أخيراً، لقد سئمت السّفر
والتجوال طوال هذه السنين!
أهتف وقد بدأ شيء من حقيقته يظهر:
- ماذا؟!

يقول في دهشة:

- ألم تستنتج هذا لوحده؟!

- ماذا بالضبط؟!

- أنا مسافر عبر الزمن!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٨- المسافر..

مسافر عبر الزمن..

غبتُ هناك في البعيد وأنا أفكر في معنى الكلمة.. هذا يفسّر كل شيء..
لهذا قال إنه كان ينتظر أن نلتقي على خط زمني واحد، يبدو أن آلة السفر
التي يستخدمها لا تعمل جيدًا، أو أن هناك عطلاً أصابها، مما جعلها تلقى به -
كل وقت - في مكان لا يعرفه، وزمن لم يختره بنفسه..
كان الأمر بالنسبة له أشبه بلعبة طويلة ولا تعتمد إلا على الحظّ فحسب، كما
أنه مارسها أكثر من ألف سنة!

قلت:

- مسافر عبر الزمن؟!

قال وهو ينظر إليّ مباشرة:

- نعم.. أنت لا تدرك كم الأمر مرهق.. الحياة، والسفر، والعشوائية، والتخبط،
وصنع الشخصيات كل عدة أعوام كي لا يكتشف الآخرون أنك لا تكبر في
العمر..

أقول في دهشة:

- هذا شكلك الحقيقي إذًا؟!

يقول بدهشة أكبر:

- وماذا توقعت؟!

كنت أظن أن هناك قناعًا ما، أو أنه يخفى شيئًا.. هذا ما تخيلته وأنا أتأمله..

- لا شيء.. لا شيء..

هكذا أجبته، فسكت قليلًا ثم قال:

- علي كل حال؛ علينا عمل ولا بد أن ننجزه، وأنت من النوع الذي يتحدث
ويسأل كثيرًا.. أعتقد أننا تكلمنا أكثر بكثير من اللازم..

ونظر إلى الاليين مردفًا:

... لا أعرف ماذا يُمكن أن يحدث لو عرفوا أنني أخبرْتُ أحدًا عن هويتي..
هاهاها! لا أتخيل ردّ فعل الكاهن (دوراك) بالذات!

قالها وضحك.. وصدر صوت غريب من الآليين وكأنهم يضحكون بدورهم!
لكن بالنسبة لى؛ فقد شعرت وكأن أحدًا صفعنى..

(دوراك)؟!

الكاهن (دوراك)؟!

انتفضت فى مكانى بكل دهشة وذهول..

- الكاهن (دوراك)؟!

يلتفت لى، ويقول بدهشة وتساؤل:

- نعم.. هل سمعت هذا الاسم من قبل؟!

- من أين تعرف الكاهن (دوراك)؟!

يسألنى بإصرار:

- بل من أين تعرفه أنت؟! من أين لك أن تسمع بهذا الشخص الذى لا أظن
أحدًا يعرفه سوى هنا؟!

أقول:

- أعرفه.. وأعرف أن هناك أميرة اسمها (مونجاسا) كذلك!

تبدو الدهشة الشديدة على وجهه عند نطقى الاسم، بينما ترسم الدهشة أكثر
فى أعماقى..

من المفروض أن اليابيين الذى جاءوا المرة السابقة على معرفة بهذا الرجل،
بما أنهم - جميعًا - يعرفون (دوراك) و(مونجاسا)!

يقول لى:

- من أين تعرف هذين الاسمين؟!

- وأعرف قوانين (إيزين) كذلك!

أضيت عيون الآليين بوهج أقوى لدى نطقى هذا الاسم.. قبل أن تعود لحالتها
الأولى، بينما أصبح وجه المتحول مضحكًا.. انفعال الاستغراب يبدو على وجهه
غريبًا جدًّا!

أعتقد أننى فاجأت هذا الوغد كما يجب!

يسألنى:

- تعرف (دوراك) و(مونجاسا) وقوانين (إيزين)؟! لا شك إداً أننى لستُ أول من يصلُ إليك.. هذا متوقع.. هممم!

يفكّر قليلاً ويُردف:

... هممممم! من أرسلوا إليك قبلى؟! هل بعثوا واحداً من (اليابيين) أم واحداً من (أبناء البركان)؟!!

- بعثوا واحداً من اليابيين!

أجيب سؤاله، فينظر لى وهو يبتسم..

لا أدري لماذا أجبتّه، ربما لأن عندى سؤالاً:

... من أين تعرفهم أنت؟!!

يصمت قليلاً، ثم يقول:

- كلهم من هناك..

أسأل:

- من مدينة الجماجم؟!!

- نعم..

- حتى اليابيون؟!!

- نعم، كلهم من مدينة الجماجم..

أقول بحيرة:

- ومن هم أبناء البركان أولئك؟!!

يتجاهل سؤالى، ويقول بصوت صارم عدة كلمات للآليين الذين معه.. يقترب منى أحدهم ويمسكنى من كتفى، يرفعنى مثل طفل صغير بيديه الاثنتين وأنا أحتج دون فائدة؛ بينما نزل هو مع الآليين الآخرين أمامنا إلى داخل الحفرة..

صرنا جميعاً فى الأسفل، لا شيء إلا التراب..

ينزلنى الآلى الذى يحملنى على الأرض بقوة، أئنُّ بألم.. لا أحد يستمع لأنينى طبعاً..

يخرج المتحول قطعة حمراء من جيبه، ويرميها على الأرض، أنظر لها.. هى مجرد قطعة صماء ذات لون أحمر، يبدو أنها من الحديد..

فجأة برز منها ساق، وساق أخرى، وسيقان أيضًا، وانقلبت بطرف دقائق إلى عنكبوت حى، يكسوه الشعر، وصوت تنفسه يثير الاشمئزاز فى النفس..

عنكبوت أحمر؛ حجمه وشكله كحجم كرة السلة وشكلها!

بدأ يحفر يمينًا ويسارًا، وينثر التراب فى كل صوب، وأنا أنظر فى دهشة واستغراب شديدين، و(المتحول) يتابع الأمر مع الآليين باهتمام ولهفة..

العنكبوت يستمر بالحفر، قبل أن يُخرج من الأرض لوحة تحكّم لا تشبه أى لوحة تحكّم رأيتها فى حياتى، يمسكها برجليه، ويرفعها نحو (المتحول)..

كانت ممتلئة بالأزرار البيضاء والسوداء، مختلفة الأحجام، وهناك أسلاك، ووصلات ممتدة منها إلى الأرض.. إلى الأسفل.. إلى الأسفل، ولا أدرى بماذا تتصل بالضبط!

يبدو الظفر على وجه (المتحول).. أكاد - مع بعض الخيال - أن أضع نفسى فى مكانه؛ إنه بانتظار هذه اللحظة منذ سنين طويلة جدًّا، ولا شك أن قلبه ينبض بين ضلوعه بشدة وحماس..

يعود العنكبوت لما كان عليه، مجرد كرة حمراء صغيرة، وتقفز هذه الكرة أمام عينيّ المندهشتين إلى جيب المتحول..

ينظر إلىّ، ويقترب منى؛ ممّا يجعلنى أقول بتوجس:

- ماذا هناك؟!

يقترب، ويمدّ يده إلىّ كى أنهض.. أنهض وأنا أنظر إليه فى ترقب؛ ماذا يريد منى؟!

يسحبنى من يدى إلى حيث الجهاز، أنظر إليه باستغراب.. يضغط عليه زرًّا فتخرج كأس زجاجية من تجويف، يمسك الكأس بيده، ثم فجأة وبسرعة عجيبة فوجئت بيده تتحول إلى سكين مصقولة حادة..

مدّها إلى رِسْغى وجرحنى جرحًا بسيطًا، صرخت بألم وحاولت أن أفلت ولكن يده الأخرى كانت تمسكنى بقوة رهيبة..

سال بعض الدم من رِسْغى وأسقطه بالكأس؛ ثم وضع الكأس فى التجويف، وضغط زرًّا، فاخفت الكأس بالداخل..

وأنا أنظر فى دهشة!

- لماذا دمائى أنا؟!

هتفت بها وقد غمرنى الانفعال والدهشة والغضب والتساؤل، فى مزيج عجيب ومثير للضحك..

لا يجينى فأكرر:

... لماذا دمائى أنا أيها المخبول؟!

يترك يدى، وينظر لى ويقول - وقد بدأ الجهاز يصدر صوتًا:

- ليس دمائك فقط..

أصمت قليلًا.. أقول:

- ماذا هناك أيضًا؟!

- صوتك!

يقولها فأتذكر.. الوغد! لقد أخبرنى أنه يريدنى حيًا وواعيًا من أجل صوتى، صحيح.. لكننى اكتشفت الآن أنه يريدنى هكذا من أجل صوتى، ودمى!

أقول بحنق:

- لم تجينى..

- ماذا؟!

أكاد أصرخ:

- لماذا دمائى بالذات؟!

ينظر لى وهو يتنهد.. لنظرته معانٍ كثيرة للغاية، أعترف أنى لم أفهم منها أى معنى!

يقول:

- لهذا قصة طويلة..

أقول بدورى وأنا أعقد ساعدى أمام صدرى:

- معى كل الوقت الذى فى العالم، أخبرنى..

يقول بسرعة وهو يضغط أزرارًا أخرى فى الجهاز؛ بطريقة معقدة متشابكة لم أستوعب ما الهدف منها:

- وأنا ليس معى أى وقت؛ أعتذر..

- إدًا فلن تسمع صوتى!

أقولها فى تحدّ، فينظر لى فى غضب، ويقترب منى، ويمسكنى من ياقتي قميصى بعنف؛ ويقول لى - وعيناه فى عيني مباشرة، وبصوت كالفحيح:

- ليس معى وقت لألعابك الصبانية الحمقاء هذه، ستقول الآن العبارة التى نريد منك أن تقولها للجهاز؛ وإلاّ أرسلتُ أحد أبناء البركان لقتل زوجتك وابنك! أنظر فى قلق.. نعم؛ المتحول الذى كان ذئبًا، وصار طيرًا، وهو - من الأساس - مسافر عبر الزّمن منذ مئات الأعوام؛ قادر على هذا لو أراد!

- حسنًا، حسنًا.. سأقول ما تريد..

يتركنى ويقول:

- جيّد..

- لكننى لم أعرف بعد ما علاقة دمي بهذا الجهاز، وما علاقتى بكم وبما يجرى؟!

يبتسم فى غموض:

- ستعرف.. سيخبرونك بكل شيء..

أسكت قليلاً محاولاً استيعاب الأمر.. ثم أقول:

- من الذين سيخبروننى؟!

يجيب:

- هُم!

- كيف سيخبروننى؟!

- وجهًا لوجه طبعًا!

يقولها مبتسمًا؛ ويكمل:

... سنأخذك معنا إلى هُناك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٩- سآأذوننى معهم..

لثوانٍ؛ بقيت أنظر له فى ذهول كامل..

- ماذا؟!

- كما سمعت يا عزيزى؛ سنأخذك معنا!

أتمتم وقلبى ينتفض:

- إلى هُناك؟!

- إلى هُناك.. نعم..

قالها ولم يبق عندى أى مجال للتفكير، نسيْتُ كل شيء كنت أفكر فيه، نسيْتُ أن هُناك آليين، وفعلْتُ آخر شيء توقعت من نفسى أن أفعله:

لقد أطلقت ساقى للريح!

هربْتُ فجأة وركضت من بين الآليين بأقصى ما أستطيع من سرعة؛ متجاهلاً قدراتهم..

كنتُ مخطئاً وساذجاً بالطبع؛ لم أكد أبتعد عدة أمتار حتى وجدتنى أتلقي عدة لكلمات وركلات حديدية فى بطنى ووجهى؛ جعلتنى أشعر بالآلام شديدة للغاية، وجعلتنى أبصق بعض الدم، ساقطاً على الأرض بقوة..

يقترّب منى ويقول:

- ستقول ما تريد، وسنأخذك معنا، وإلا..

ولم يُكمل؛ كان تهديداً كافياً وواقعياً؛ جعلنى أهرّ رأسى متفهماً رغم أنفى!

نهضت وقلت وأنا أمشى معه نحو الجهاز:

- مع كل هذه التكنولوجيا التى تملكها، ومع وجود الآليين هُنا، والتطور الذى شاهدته منك ومن (اليابيين)؛ ألا توجد وسيلة لجعلك تقوم بهذا الأمر، بصوتى؟!

يقول:

- كان هذا سيكون سهلاً لولا أن هذا الجهاز متطور إلى درجة لن يمكنك تخيلها.. إنه قادر على تمييز الصوت الحقيقى من الصوت المزيف بنسبة دقة هائلة للغاية؛ لا مجال معها للخطأ البتة.. ولذا كان لا بد من إحضار الأصل، وليس صنع نسخة..

قالها، ففكرت سريعًا:

هُوَ يريد أن أقول كلمة أو عبارة ما، ستكون سيِّئًا فى أن يُفتح هنا باب أو فجوة، ننتقل منها إلى مدينة الجماجم، التى لا أعرف إن كانت فى عالمنا تحت الأرض، أو فى زمن آخر، أو فى بُعد مكانى لا يعرفه غيرهم، أو فى عالم موازٍ لم يزره أحد!

هُوَ يريد هذا، كى نذهب جميعًا إلى هُناك..

لماذا؟!

لا أدرى.. لم أعرف بعد..

يقول لى:

- اقترِب..

- ماذا؟!

- اقترِب فحسب، أريدك أن تنطق كلمتين!

- ما هما؟!

- مدينة الجماجم!

بغته، تذكّرت شيئًا كان منسيًّا بالنسبة لى..

تذكّرت ولاعة السجائر!

لقد كانت معى منذ البداية، نعم.. هى معى الآن، فى جيبي، وقد وضعتها هُناك منذ أن خرجتُ من المنزل، من مكتبي، من غرفتى الخاصة التى أجد فيها عالمى الخاص..

وقفت ومددتُ يدي إلى جيبي، ونظرت إليه - المتحول - وإلى الآليين الثلاثة.. قسْتُ المسافة التى بينى وبينهم بنظري، وأدركتُ أنى أستطيع فعل شيء..

المشكلة الوحيدة أننى سأضطر للمجازفة؛ فأنا أنهيت التعديل على الولاة كما أريد، ولكن لم تسنح الفرصة لى كى أجربها وأتأكد من فاعليتها..

الآن سأجرب!

أخرجتها من جيبي ورفعتها مباشرة أمام وجهى باتجاههم، فنظروا إلى جميعًا فى وقت واحد، وبالذات (المتحول)..

كانت عيناه تحملان كل الغضب الموجود فى الدنيا!

- ما هذا؟!

قالها وهو ينقل عينيه بين الولاة، وبينى، فقلت بتوتر حاولت أن أسيطر عليه:

- سأخرج من هنا..

- لن تخرج!

- بل سأخرج!

قلتها بإصرار، قبل أن أردف وأنا أمسكها وأوجهها إليهم:

... ستتركنى أخرج من هنا دون أن تقترب منى أنت أو هؤلاء الأغبياء الذين معك... و...

كنت أريد أن أكمل العبارة لولا أنه تحول بسرعة خارقة إلى ذئب، ذات الملامح الذئبية التى رأيتها يتحول إليها أول مرة، ويقفز نحوى فى شراسة..

لم أتمالك نفسى، وألقيتها نحوه وأنا أصرخ، بعد أن جعلتها تعمل بحركة سريعة من إبهامى..

.. وهبت النار!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فوجئتُ بالنار تهب فحبستُ أنفاسى على الفور، وتراجعت بظهرى إلى الخلف بسرعة لم أعدها فى نفسى، وقد تحول الأكسجين المحيط بالمتحول والأكسين إلى نيران..

إنهم يشتعلون، يحترقون، يصرخون، يحاولون فعل أى شيء؛ لكن الولاة تعمل جيدًا..

الوصلات المستخدمة فى تعديل الولاة، والغاز الخاص الذى صنعته؛ قاما بالعمل المطلوب منهما كما يجب..

أتراجع إلى الخلف، إلى الخلف، ثم أعكس وضعية جسدى وأخرج من الحفرة وأنا أصرخ من الألم.. لقد مسّنى شيء من النار الحارقة.. إن ظهري كله يؤلمنى!

يسود صمت..

الآلام تشتعل فى جسدى..

صدرى يعلو وينخفض، إننى ألهث.. ألهث بقوة..

أنظر حولى.. لا أحد!

أزدد لعابى، أمد يدى نحو جيبى وأخرج هاتفى المحمول.. أتصل على (منذر) مباشرة..

لا يرد على أول مرّة، ولا الثانية، ولا الثالثة، ولكنه يرد عَلىّ أخيرًا فى المرة الرابعة..

يقول لى بصوت مُرهق ومُتعب:

- ألو..

أقول بلهفة:

- (منذر).. حمدًا لله أنك رددت عَلىّ أخيرًا! هل استيقظت أخيرًا من غيبوتك؟

يتنّهّد، ويقول:

- نعم، نعم.. قل لى، أين أنت؟

ثم سمعت أصواتٍ مختلطة متشابكة من عنده، لم أميزها، قبل أن يقول - وقد بدا أنه عاد إلى وعيه دفعة واحدة:

- أين أنت يا (سامر)؟! أين ذلك الوغد؟!

أقول فى سرعة:

- أنا فى (حديقة المجد) يا (منذر)، وحدثت معى أمور كثيرة وغريبة، وسأخبرك إياها بالتفصيل، لكن عليك أولاً الحضور إلى هُنا مع (ديمتري)..

يهتف:

- (ديمتري)!

هتف بها وأحسست أنه انتبه إلى غياب (ديمتري).. أسمع منه الآن صوت خطوات ولهاتٍ، صوت باب يفتح، صوت تنهيدة عميقة، ثم فى ارتياح سمعت صوته يخبرنى أن:

... إنه هُنا، أمامى.. ما يزال فاقدًا وعيه!

- (منذر)، أيقظه وتعالا لى فورًا، أنا بانتظاركما..

يقول منهياً المكالمة:

- حسناً..

أنتظرهما وأنا أتذكر حوارات اليوم مع ذلك المتحول، وأولئك الآليين،
والولاة، والجهاز، والعنكبوت الأحمر، وكل شيء..

أنتظرهما وأنا أتذكر (ديالا) و(كريم)..

رباه.. أشتاق إليهما!

يمر الوقت بطيئًا جدًّا، قبل أن تظهر أخيرًا تلك الهليوكوبتر فى الجو، بهديرها
المرتفع، وجسمها المهيّب..

أقبلت وهبطت أرضًا مثيرة عاصفة من الغبار فى المنطقة، وسعادة لا توصف
فى قلبى..

هبط منها (ديمتري) و(منذر) بسرعة؛ وأقبلنا نحوى.. لم يكن معهما (همام) هذه
المرة..

- يبدو أنه العيد القومى للمروحيات!

أقولها ممازحًا، وبعانقنى كل منهما على حدة، أتنبه هُنا أن هُناك بعض الجنود
فى الطائرة، وقد نزلوا معهما.. ومن بعيد، ارتفعت أصوات سيارات الشرطة،
لا بد أنها قادمة إلى هُنا..

يضربنى (ديمتري) على كتفى ويقول:

- ماذا حدث؟!

وبشكل سريع حاولت أن أجعل كلامى مختصرًا قدر الإمكان؛ وأخبرتهم عن
كل ما حدث، دون الخوض فى تفاصيل كثيرة ليس لها أى داع..

- وماذا الآن؟!

قالها (منذر) موجّهًا الكلام لى، فقال (ديمتري):

- نعم، ماذا الآن؟!

قلت:

- سترى الجهاز الذى بالداخل، لعلك تستطيع اكتشاف شيء به أو عنه.. شيء
لم يخبرنى إياه (المتحول)..

- حسنًا..

واتجهنا بعد كلمته من فورنا إلى الحفرة، بعد أن أشرنا للجنود أن يبقوا على
مقربة..

ولكن، ما إن نزلنا الحفرة حتى بوغتنا بذلك المشهد..

كان (المتحول) يقف وقد احترق وجهه وجسده، وتحول لونه إلى اللون الأحمر، وظهرت التقرحات فى عينيه وعلى فمه، وبدا مظهره مخيفًا للغاية..
كان يقف هُناك وقد بدا عليه أنه ينتظرنا..
.. ينتظرنا ليهاجمنا بالطبع!

oo oo oo oo oo



١٠- الصحوه الأخيرة..

كانت هذه هى صحوته الأخيرة..

المشكلة التى لم يحسب حسابها هى (منذر)!

كان (منذر) متأهّبًا، لا أدري لماذا، ولكنه وفور رؤيته للمتحوّل بهذه الهيئة أخرج مسدسه بسرعة، وأطلق النار..

أطلق النار قبل أن نفكر أنا و(ديمتري) بالأمر، وقبل أن يفكّر ذلك (المتحوّل) بأى خطوة!

بوم.. بوم.. بوم..

رصاصة خلف رصاصة، اخترقت رأسه، وجسده، وألقت به إلى الخلف مترين كاملين، وملامحه تحمل علامات الدهشة والذهول الشديدين..

حدث الأمر بسرعة..

- الوغد!

قالها (منذر) وهو يصرّ على أسنانه، ويعيد مسدسه إلى مكانه بكل ثقة..

وضعت يدي على كتفه، بينما اكتفى (ديمتري) بالابتسام..

نتعامل فيما بيننا مع هذه الأمور كأمر شبه عادية، ومن الممكن أن تحصل كل يوم!

نخدع أنفسنا، أعرف هذا؛ لكن الخداع هو الحل الوحيد أمامنا كي لا نصاب بالجنون..

أقترب من الجثة، أزيحها جانبًا بقدمي وأنا أكاد أتقيأ.. منذ زمن لم أر شيئًا أمامي هكذا..

يقترب (ديمتري) بكل فضول ورغبة بالاكشاف، ينهمك بفحص الآليين المحترقين وهو يتثاءب، مكلّمًا نفسه!

نحاول فحص الجهاز أنا و(منذر) دون أن نضغط على أى شيء.. لا نعرف ما الذى يمكن أن يحصل!

ينادى (ديمتري) على رجال الأمن الواقفين بالخارج.. يطل عليه أحدهم.. يخبره أن يأتى هو وآخرون، ينادى عدة زملاء له ويهبطون جميعًا إلينا، يتعاونون على حمل الآليين..

يقول لى (ديمتري):

- ما هذا الغاز الذى ابتكرته بالضبط؟! لقد أحرقهم تمامًا من الخارج يا (سامر)!

أقول ملوِّحاً بيدى فى تواضع:

- هذا لا شيء..

يبتسم ويقترب من الجهاز:

- هل هذا هو؟!

قلت:

- نعم..

يتأمل الجهاز، ونشاطه أنا و(منذر) تأمله..

- ترى بماذا هو موصول؟!

أجبت:

- لا أعرف..

يتساءل (منذر):

- الغريب أن الجهاز لم يحترق!

صحيح.. لم يحترق الجهاز.. أتنهد وأقول:

- لا مشكلة فى الأمر، لم يعد يشير استغرابى شيء!

ينشغل (ديمتري) بالفحص، ويخرج عدة أسلاك من جيبه، وأدوات تشبه الأدوات الطبية، وأشياء أخرى لا أعرفها..

أسأله - وقد رأيته يضع الأسلاك التى معه حول بعض الأزرار:

- ماذا ستفعل؟!

يقول لى وهو يضغط شيئاً خلف أذنه:

- سأحاول أن أعرف كل شيء عن هذه الآلة؛ دون أن نضغط زرّاً واحداً فيها!

أقول مؤكداً:

- نعم، لا ندرى ما الذى قد يحصل..

يقول لى مشيراً إلى أذنه:

- أنت تعلم طبعًا أن هناك شريحة موصولة برأسى، وهى تتصل مع دماغ (فايو) عن طريق بلوتوث حديث قمت بتطويره منذ أشهر.. وحتى دماغه موصول بطراز خاص - قمت بتعديله بنفسى - من موقع البحث الشهير (جوجل)! أنت تعرف هذا؛ صحيح؟!

أقول وأنا أهرّ رأسى:

- نعم، أعرفه.. لقد أخبرتنى إياه من قبل..

يشرح لى:

- سيقوم (فايو) الآن بأخذ كل المعلومات التى أعرفها عن هذا الجهاز، وتحليلها، ومقارنتها مع كل الأجهزة المعروفة وحتى السرية، سواءً من حيث الشكل أو المضمون..

وسكت قليلاً ثم قال:

- أين وضع الكأس الذى فيها دمك؟!

أشرت إلى تجويف صغير:

- هُنا..

أنظر إليه وهو يتألم أثناء حوارهِ العَقْلَى البعيد مع (فايو).. لقد أخبرنى من قبل كم يتألم عندما يحدثه بهذه الطريقة.. أعتقد أن أى شخص منا سيكون متألماً وهناك شريحة فى رأسه؛ تسمح له بالحديث مع جثة!

انهمك بالتوصيل والفحص وعدت أنا إلى (منذر)، وبدأنا تتجاذب أطراف الحديث عن الأمر بشكل عام..

كنت أنا فى حيرة شديدة جدًّا من أمرى!

الأمر كله يبدو معقدًا، وغريبًا، أكثر من اللازم..

ما أعرفه أنه ليست لى أى علاقة قريبة أو بعيدة بما يجرى، ولكن هذا (المتحول) يريد دُمى، ويريد أن أقول كلمة بصوتى بالذات، وإلا فلن يعمل الجهاز..

معنى هذا - بكل بساطة - أن عمر الجهاز الإلكتروني لا يقل عن ألف سنة، بما أن الآليين لا تقل أعمارهم عن ألف سنة!

معنى هذا أنهم يعرفون صوتى ودُمى، منذ ألف سنة؟!

معنى هذا أن من وضع الجهاز هُنا، يعرفنى حق المعرفة، ويدرك تمامًا أن لى ثقة وطيدة بمدينة الجماجم الغامضة تلك..

من مدينة الجماجم تلك؛ جاء هذا الرجل، والآليون، وشعب (ياب 469)!
منها جاء (دوراك) و(مونجاسا) و(إيزين)!

ما هى بالضبط؟!

هل هى مدينة فى المستقبل، وستنقلنا هذه الآلة إليها عبر الزمن كما كان يحدث مع (المتحول)؟!

هل هى مدينة فى كوكب آخر، عاقل، يتفوق علينا بالعلم والسلاح والقوة والتكنولوجيا؟!

هل هى مدينة فى عالم موازٍ، وهذا الجهاز هو البوابة التى تفصل بين العالمين؟!

السؤال الكبير هو:

ما علاقتى بكل هذا؟!

الجواب الكبير هو:

لم أعرف بعد!

فجأة قال (ديمتري):

- (سامر).. (منذر)..

التفتنا إليه بوقت واحد:

- ماذا؟!

قال مشيرًا بإصبعه، وملامح وجهه تشير إلى أن هناك مصيبة أو كارثة ما:

- هُناك وجه!

هتفت:

- وجه؟!

قال:

- (فابيو) أكد لى أن منظومة الأسلاك التى فى داخل الجهاز تكون وجهًا مألوفًا لنا..

قلت باهتمام شديد:

- وجه من؟!

نظر إلى وكأنه يتفحصني لأول مرة:

- وجهك أنت يا (سامر)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



١١- ماذا تفعل هنا يا وجهى؟!

كدتُ لا أصدقُ ما سمعتُ!

بعد كل ما فكرت فيه، وما تكلمت أنا و(منذر) عنه، وما فاجأنى من أمور غريبة حتى الآن، تكتمل سلسلة المفاجآت بهذا الخبر القنبلة..

كلها أخبار كالقنابل، وأنا قاربت على الانفجار!

- وجهك يا (سامر)؟!

يقولها (منذر) وقد بلغت الدهشة منه مبلغها، بينما انعقد لسانى - أنا - فى فمى!

يقول (ديمتري):

- طلبتُ من (فابيو) أن يتأكد، وقد تأكد جيداً.. هو وجهك بلا أدنى شك يا (سامر).. الملامح قريبة من ملامحك بنسبة لا تقل عن 84 % على الأقل!

أجلس أرضاً فى تهالك، وقد أكلتنى الحيرة، والتهمنى القلق حتى الشيع.. وأقول:

- لا أعرف ما الذى حصل.. لا أعرف.. لا أعرف..

لا شك أن ملامحى كانت مثيرة للشفقة، إذ ربّت (منذر) على كتفى فى تعاطف، وقال (ديمتري) محاولاً السيطرة على انفعالاته:

- على كل حال؛ يبدو أنك مرتبط معهم بشكل كبير جداً لا يعرفه أى منا، وبالذات أنت.. ولا بد أنه سيأتى يوم تعرف فيه ما علاقتك بما يحدث..

أهزّ رأسى إيجاباً دون تفكير..

يتبادل (منذر) و(ديمتري) نظرة سريعة، قبل أن يردف (عاشق البوم)، محاولاً تغيير الموضوع:

... المهم الآن أن تعرفا أن هناك شيئاً جديداً..

أقول وأنا أرفع عينين متهاكتين إليه:

- ماذا؟!

يجيب:

- يقول (فابيو) أن هناك شيئاً خلف هذا الجهاز..

يقول (منذر):

- شيء مثل ماذا؟!

يقلب يديه ويجيبه ناظرًا إليه:

- لم يعرف! لكنه على وشك أن يعرف، ويطلب منا جميعًا أن نخرج من الحفرة كي يكتشف الأمر!

أبتسم رغم أنفى وأقول:

- أشعر أنه مفيد وهو ميّث أكثر منه وهو حى!

نضحك جميعًا..

يقول (ديمتري) فى تأهب:

- هيا بنا..

أنهض عن الأرض بمعاونة (منذر)، نخرج نحن الثلاثة من الحفرة، ويشير (ديمتري) إلى رجال الأمن القريبين منا بالابتعاد..

- ماذا الآن؟!

أقولها وقد ابتعدنا عن الحفرة عدة أمتار كافية، ناظرًا حولى لأتأكد من أن كل شيء على ما يرام.. يجيبنى (ديمتري) وعيناه تبرقان كمن ينتظر شيئًا:

- الآن سيتحرك (فابيو)..

لم يكذب عبارته حتى اندفع ذلك الشعاع من الفضاء مباشرة نحو الحفرة! شعاع أصفر اللون، غريب، اندفع كثيفًا نحو الحفرة دون أي صوت.. بوغتنا جميعًا به؛ أنا و(منذر) ورجال الأمن الذين فاجأهم الأمر؛ إلا (ديمتري) الذى كانت ملامحه تدلّ أنه على علم بهذا الشأن..

- ما هذا يا (ديمتري)؟!

يسأله (منذر) ويجيبه:

- إنها أشعة خاصة من تطويرى، يقوم (فابيو) بإطلاقها من قمر صناعى تابع للإدارة.. تقوم على تفتيت أجزاء معينة من الصخر وترك أشياء أخرى فى نفس البقعة!

باختصار؛ هى تقوم بالتدمير الانتقائى - إن فهمت ما أعنيه!

أحاول أن أستوعب..

لو كانت الأشعة كما فهمت من عبارة (التدمير الانتقائي)؛ فأنا مستعد لأن أعترف أمام العالم كله: (ديمتري) عبقرى أكثر مما كنت أتصوره!

اختفت الأشعة فجأة كما ظهرت، وهذا كل شيء..

يندفع (ديمتري) نحو الحفرة بحماس، قائلاً:

- ما الذى تنتظرانه؟! تعالا خلفى..

نهبط خلفه إلى الأسفل، ونحن كلنا شوق لنرى هذا الشيء الذى خلف الجهاز..

وتوقفنا دفعة واحدة..

.. كان هناك جزء من نفق!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توقفنا وكلنا ذهول..

أخذنا ننظر فى عيون بعضنا بتساؤل واستغراب، وقد ألجمت الدهشة ألسنتنا وأفئدتنا..

كان الوضع مختلفاً فى الأسفل، الحفرة لم تكن كما هى، والتراب صيغ كله باللون الأسود.. أما الجهاز فكان كما هو، وإن كان ظهر جزء من نفق خلفه..

نفق أسود، مخيف، طويل، ممتدّ إلى الداخل، ولا نرى نهايته بسبب الظلام طبعاً..

يقول (ديمتري):

- أين تظنون هذا النفق يذهب؟!

أقول بتوجس:

- لا أدرى، ولا أحب أن أدرى!

يقول (منذر):

- ربما إلى مدينة الجماجم!

ألفتت إليه وأنا أقول بتوتر وقلق:

- لا.. لا تقل هذا..

يقول (ديمتري) قبل أن يعلّق (منذر) بأى شيء:

- لا أظن، بل على العكس أرى هذا مستحيلًا.. سيكون من الغباء الشديد جدًّا أن يتكبّد كل هذا الجهد مع الآليين الذين معه، كى يكون الباب الذى يبحث عنه هُنا أمام عينيه!

- ربما هى بوابة أخرى..

قلتُ هذه العبارة فى شك، ونظر (ديمتري) و(منذر) إلى بعضهما..
قد أكون محقًّا!

ساد الصمت قليلًا، قبل أن يقول (ديمتري) وهو يندفع خارج الحفرة:

- سأذهب لإحضار بعض الأشياء من المروحية..

- وأنا أيضًا..

قالها (منذر) واندفع خلفه، وبقيت أنا فى مكانى واقفًا بلا مبالة؛ لا يشغل ذهنى شيء إلا كل شيء!

صورة وجهى مكوّنة من منظومة الأسلاك داخل الجهاز..

وهُناك نفق خلفه..

وهو لا يعمل إلا بصوتى..

ودمائى..

أسئلة وأسئلة!

دماغى يفور مثل بركانٍ غاضبٍ نشط، ويكاد ينفجر فى كل الاتجاهات..

...

قطع على أفكارى عودتهما، وقد حمل كل منهما حقيبة عسكرية على ظهره..

- هل أنت جاهز؟!

أجيب السؤال بسؤال:

- من أجل ماذا بالضبط؟!

يضحك (ديمتري):

- من أجل استكشاف النفق طبعًا!



١٢- النفق..

أنظر إليهما فى تساؤل، وأقول:

- ماذا؟!

يقول (ديمتري) بكل حماس:

- سنستكشف النفق..

أتساءل:

- وحدنا؟!

يجيب (منذر) وقد انتقل إليه حماس (ديمتري):

- نعم، وحدنا..

أهزّ كتفى بما معناه أنتى موافق، ويسألنى (منذر):

- لا تريد شيئاً معك؟!

أقول بثقة:

- يكفينى ما أحضرتماه معكما.. أعتقد أنتى أثق بكما من هذه الناحية تمامًا..

يتسم، ويُخرج من الحقيبة مصباحاً يدوياً ويناولنى إياه، ويُخرج واحدًا آخر ويمسكه بيده اليسرى، وأخرج (ديمتري) كذلك واحدًا من حقيبته..

بعدها أخرج مسدسًا من الحقيبة وناولنى إياه:

- خذ، لا ندرى ما قد نواجه فى الداخل!

أخذه دون أى كلمة، بينما هو أعطى (ديمتري) مسدسًا آخر، قبل أن يرفع حقيبته ويحملها على كتفيه، ويمسك مسدسه بيده اليمنى فى حذر..

- هل أنتم جاهزون؟!

يقولها (ديمتري) بلهجة قيادية حازمة، فهزنا رؤوسنا، أنا و(منذر) بالإيجاب..

اقتربنا من الحفرة.. ودخلنا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ظلام..

لا شيء سوى الظلام..

من الجيد أننا أحضرنا معنا المصاييح اليدوية، وإلاّ ما رأينا شيئاً على الإطلاق..
هناك رائحة غريبة لم أستطع تمييزها، ولم أستطع مقارنتها بأى شيء أعرفه..
نمشى بحذر، وقد أمسك كل منا مسدسه فى يد، والمصباح فى يد.. آثار أشعة
المصاييح تنعكس على وجوهنا وعلى جدران النفق من الداخل، وتُعطى بُعداً
آخر للخوف هنا..

خوف؟!

لا.. ليس خوفاً ولا ذعراً ولا رعباً، الشعور أقرب إلى الرهبة والتوتر.. التوتر
الطبيعى الغريزى الفطرى، الشبيه بالحذر من المجهول.. هو هذا ولا شك..
نتوغّل فى الداخل أكثر، الغرب أن النفق كان مصقولاً من الداخل.. نعم هو
مبنى من الصخور، ولكن لم يكن هناك أى تراب، أو أوساخ، أو قاذورات..
كان يبدو كنفق أنشأته إحدى وحدات أمانة العاصمة، شيء شبيه بأنفاق
المشاة، أو أنفاق القطارات السفلية، لكن لم يكن هناك أى مشاة غيرنا، ولا
قطارات، ولا أضواء إلا ما يخرج من مصاييحنا اليدوية فحسب..

نمشى ونمشى، لا شك أننا قطعنا مائتى متر حتى الآن، قبل أن يقول (منذر):

- هل نحن ننحدر إلى الأسفل؟!

يجيبه (ديمتري) ببساطة:

- نعم، لكنه انحدار خفيف..

أقول لافتاً نظرهم:

- انظروا إلى السقف والجدران، إنها نظيفة ومصقولة..

يقول (منذر) وهو يوجه نور مصباحه إلى الجدران:

- فعلاً، تبدو وكأنها أنجزت منذ أيام قليلة..

يقول (ديمتري):

- لا شك أن من أنجزوه وصلوا إلى مرحلة متقدمة جداً فى العلم
والتكنولوجيا..

نمشى أكثر وأكثر، لا شيء إلا صوت خطواتنا وتنفسنا، وأضواء المصاييح..

- ماذا تتوقعان أن نجد؟!

قالها (منذر)، فقلت بعد صمت وأنا أمشي في حذر:

- لا أعرف..

يقول (ديمتري):

- ربما بوابة كما قال (سامر)..

نمشي أكثر، قبل أن نتوقف فجأة، فلون الجدران بدا مختلفًا ابتداءً من هذه النقطة..

أوجه مصباحي نحو الجدران، وينتبه (ديمتري) و(منذر) معي.. الجدران صار لونها أسود!

- هل يشير هذا لشيء؟!

قالها (ديمتري) فقال (منذر):

- ربما وصلنا..

عقبت:

- أو ربما قاربنا على الوصول..

- الوصول إلى أين؟! هذا هو السؤال!

قالها (ديمتري) بلهجة غامضة ممزوجة بنكهة كوميدية لطيفة، فقلت:

- الوصول إلى ماذا! تقصِد يا (ديمتري)!

أشعر أننا في مسلسل سخيّف.. أسلوب حوارنا يضحكني..

أبتسم في سري، وأواصل المشي.. و...

بغّة قال (ديمتري) بصرامة وحزم:

- توقفوا!

توقفنا، والتفت إليه قائلاً:

- ماذا هناك؟!

قال محدّراً:

- إياك أن تخطو خطوة واحدة..

ابتلعت ريقى وقلت:

- لماذا؟!!

- أمامك حاجز من أشعة الليزر!

يرتفع حاجباى فى دهشة:

- ليزر، هُنا؟!

- ششششش! أخبرنى (فابيو) بهذا، وها هو يعالج المسألة..

يتساءل (منذر):

- (فابيو)؟! هل ما يزال معنا؟!

يقول (ديمتري) بنفاد صبر:

- وهل هو فارقنا من الأساس؟!

أفكر قليلاً بكلمته دون أن أتحرك.. حاجز من أشعة الليزر؟! هُنا؟!

رباه! ما التطور الذى وصله هؤلاء القوم بالضبط؟!

يمر الوقت ببطء، قبل أن يتنهّد (ديمتري) فى ارتياح، قائلاً:

- تستطيع أن تمشى الآن.. انتهت المشكلة..

أبتسم:

- بكل سهولة؟!

- بكل سهولة..

أضحك، من الجيد أن معى (ديمتري) و(منذر).. لن أستثنى (فابيو) طبعًا فهو من أهمّ أعضاء هذا الفريق، لو كان لى أن أطلق علينا هذا اللقب!

نمشى ونمشى، وأسأل (ديمتري) بعد وهلة:

- ما الذى فعله (فابيو)؟!

- لا تفكر بهذا الآن، سأخبرك لاحقًا، المهم أنها مشكلة وانتهت..

وسكت، ثم أردف:

... يجب أن نركّز بهذه المشكلة الآن!

قالها مشيرًا إلى الجدار الأسود الذى وصلنا إليه أخيرًا..

جدار أسود يغلق نهاية النفق المظلم المخيف المصقول هذا معلناً أن هذه
هى المحطة الأخيرة!!

جدار أسود ضخم ليس عليه أى شيء، أو نقش، أو زر، أو جهاز، أو كتابة!
جدار أسود صامت.. كئيب!

نقترب منه.. يتحسسسه (ديمتري) بأصابعه ويقول:

- (سامر).. هناك جهاز خلف هذا الجدار!

أسأله وأنا أعرف الجواب:

- كيف عرفت؟!

يقول:

- (فابيو) طبعاً! لقد أخبرنى للتو أن هناك جهازاً خلف هذا الجدار، وهذا الجهاز
يمثل ذلك الجهاز الذى دمرته الأشعة فى الخارج.. فماذا ستفعل؟!

يغمغم (منذر) وهو يدير مصباحه يميناً ويساراً:

- نعم، لقد وصلنا إلى هذه النقطة التى ليس بعدها شيء.. ويبدو أن هذا
الجهاز هو الفرصة الأخيرة لنا..

يقول (ديمتري) موافقاً:

- ماذا ستفعل الآن يا (سامر)؟

أنظر إليهما وقد عقدت حاجبى فى تساؤل.. ثرى؛ ماذا ينتظران منى أن
أفعل؟

قُلت:

- ماذا تنتظران أن أفعل؟!

ينتظران إلى بعضهما، ويقول (منذر):

- أن تقول «مدينة الجماجم» بصوتك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



١٣- الجدار الأسود..

- ماذا؟!

تبرق عينا (ديمتري):

- قُل الكلمتين «مدينة الجماجم».. قُلهما لنرى ما الذى سيحدث، وعلى أى شيء ستفتح البوابة..

أترجع إلى الخلف فى توّثر..

- كلاً!

أقولها، فيعقد (ديمتري) حاجبيه:

- ماذا؟!

أقول بحزم، بعد أن فكّرت بالأمر جيّداً فى رأسى، وبسرعة، وقد راجعتُ فى ذهنى كل شيء:

- لن أقولها..

يهتف:

- لماذا؟!

أقول بقلق:

- لأننا لا نعرف ما الذى سيجرى.. ربما إذا قلت الكلمة سينفتح باب إلى عالم آخر أو إلى مجرة بعيدة.. لا نعرف.. ربما يخرج لنا آليون جدد، أو كائنات لم نرها من قبل.. وأعتقد بجدية أننا لم نر شيئاً بعد..

لم أكن أدرك كم كنتُ صادقاً وقتها!

يلتزم (منذر) الصّمت، ويقول (ديمتري) مدافعاً عن رأيه باستماتة:

- مهما كان رأيك ومهما كانت مخاوفك، عليك أن تتغلب عليها يا (سامر).. هل تعلم ما الذى يمكن أن نجده؟! ربما نحقق أكبر كشف علمى حتى الآن.. ربما نرى أنفسنا فى عالم آخر، وبه كل ما كنا لم نتخيله.. ربما نشهد ولادة حضارة جديدة، أو امتزاج كوننا بكون بديل.. الأمر فى غاية الأهميّة يا (سامر)، ولا يجب عليك أن تضيع هذه الفرصة..

أقول بحق:

- عن أى فرصة تتحدث يا (ديمتري)؟! لقد حدث هُناك قتل بسببى.. بسببى أنا يا (ديمتري).. عدة أرواح أزهقت، كما حصلت أشياء غريبة، الكثير منها فى الواقع، ومن الجيد أنكما كنتما معى فيها جميعًا..

وأخذت نفسًا عميقًا وأنا أقول ببطء - محرجًا رأسى يمينًا وشمالًا بكل ثقة:
- كلا، لن أقولها!

يقرب منى (ديمتري) ويقول باستجداء:

- (سامر).. لو أننى أستطيع إجبارك لفعلت، لكننا فريق، ومن واجبات أفراد الفريق أن يراعوا حق بعضهم على بعض..
أكاد أصرخ فى غضب:

- لكن هذا ليس حقًا شخصيًا لك يا (ديمتري).. هذا شيء يخصنى أنا، وأنت تعرف كم أنا مرتبط بهذا الموضوع.. هذا شيء يخص هذا الكوكب كله أيضًا، ولو أننى أعرف ما الذى سيحدث لقلت الكلمتين فورًا وبلا تردد..

يهمّ (ديمتري) بأن يرد، لولا (منذر) الذى اقترب فجأة وقال بصرامة:

- يكفى يا (ديمتري)..

التفتنا إليه، فأردف:

... يكفى لأننا نعرف جيدًا أن (سامر) لن يغيّر رأيه، وأن الأمر أشبه برحلة إلى المجهول..

أقول موجّهًا كلامى إلى (ديمتري):

- أترى؟!

ينظر بحنق، ويكمل (منذر):

... هُناك غموض كبير مثير لكل أنواع الرعب والشك والفرع والذعر، ونحن نتصرف فيما بيننا وكأن شيئًا لم يكن.. يكفى خداعًا لأنفسنا فالأمر خطير جدًّا.. نحن فى قلب عاصفة هائلة من الأحداث الغريبة منذ بدأ هذا الأمر وغيره بالحدوث، والأشياء كلها مرتبطة بهذا الرجل..

وأشار إلىّ بأصبعه، مستطردًا:

... لا أدري لماذا أرى الأمر متعلقًا بك وحدك، أو أن هذا ما أعرفه وأراه وأتوقع استمراره حتى الآن.. رأى الخاص ألاّ تقول أى كلمة، وأن تغادر المكان فورًا!

يعجبني أنني أخيرًا أرى بعض التعقل عند (منذر)، الذى التفت إليه (ديمتري) ضاحكًا، وقائلًا فى استخفاف:

- تخيل!

أقول:

- (ديمتري) يا صديقى، وبأ أستاذى؛ كُن واثقًا أنني لن أقول الكلمتين.. هناك احتمال بأن تنفتح علينا أجمل أبواب الحياة منذ هذه اللحظة؛ لكننى لا أنكر أن هناك احتمالاً أكبر، وهو أن تنفتح أبواب الجحيم كلها!

يطأطئ برأسه، ويقول (منذر):

- ماذا الآن؟!

أفكر قليلاً..

لم يعد وجودنا هنا ضروريًا، لقد عرفنا كل شيء كان يجب أن نعرفه، وعرفنا الخطوة القادمة التى لن أقوم بها..

نعم.. لن أقول الكلمتين..

أقول:

- أتصل بالإدارة، وبالجيش، وأخبرهم أن يغلّقوا هذا النفق بالخرسانة، وبالحديد المصهور، وبكل شيء يستطيعون إغلاقه فيه للأبد!

يقفز (ديمتري) قائلًا فى هلع:

- مستحى..

يقاطعه (منذر) بصرامة:

- (ديمتري)!

ينظر إليه بدهشة، فيقول:

- انتهى النقاش، واعدرنى؛ سنغلق النفق..

يقولها ولا ينتظر جوابًا أو تعليقًا من (ديمتري)، أنظر إليه أنا بإعجاب وهو يتصل مع الإدارة..

أقول:

- (ديمتري)، عليك أن تصدّقنى، هذا أفضل ما يجب علينا فعله، لكننى واثق أننا سنعرف حقيقة الأمر ذات يوم..

- لا بأس.. لا بأس..

يقولها بغيط مكتوم..

أتنفس الصعداء، وأنظر إلى الجدار، وإلى كل شيء من حولي بسرعة.. من الجيد أننا سنغادر هذا النفق لأننى تعبت، من الكلام والتوتر، والنقاش، والقلق..

- هيا بنا..

يقولها (منذر) مفسحًا لنا الطريق، أبتسم، وأرّبت على كتف (ديمتري) مواسيًا.. لا شك أنني أحبطت فضوله العلمى ونهمه المعرفى حتى الحد الأقصى..

تتأكد من أن كل أدواتنا معنا، نلقى نظرة أخيرة على المكان والجدران، نسمع صوت قوات الجيش التى بدأت بالدخول إلى قلب النفق..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



١٤- الختام..

فى البيت..

أنا و(منذر) و(ديمتري) نجلس على المقاعد فى غرفة الضيوف، وقد أمسك كل منا بكأس الشاى الساخن فى يده..

يقول (ديمتري):

- لا شك أن هناك لغزًا كبيرًا يحيط بك يا رجل!

أقول فى ضيق:

- أرجوك لا تقل شيئًا، دعنا فرحين بأننا انتهينا من الأمر وكفى، وأنه لن يعود..

يقول (منذر):

- ما أدراك؟

- لا شيء، لكننى أدعو الله أن يحصل هذا..

أقولها وأحتسى شيئًا من الشاى..

تنادى عَلىّ (ديالا) من الخارج، أستأذنها وأذهب إليها، أكلمها قليلًا ثم أعود حاملاً معى الحلوى..

أقدمها لهم، وأجلس، ونعود لنحتسى الشاى..

يسود صمت، أقطعه بقولى:

- ألم يقولوا قديمًا: «إن لم تكن ذئبًا، أكلتك الذئاب»؟!

يقول (ديمتري):

- نعم..

أقول وأنا أبتسم بسخرية:

- بعد ما حدث اليوم؛ لا شك أن العبارة قد تحولت إلى «إن لم تكن ذئبًا، أكلك المتحول»!

قلتها وضحكت بقوة..

ضحكنا كلنا بصوتٍ عالٍ..

.. ضحكنا؛ حتى كدنا نقع من على مقاعدنا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ (تمت بحمد الله وتوفيقه)



متميزون للكتب النصية



Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القناة

الفهرس..

[مقدّمة..](#)

[١- يوم عادي..](#)

[٢- المقبرة..](#)

[٣- المتحول..](#)

[٤- إنها مجرد روبوتات!](#)

[٥- ألف سنة.. على الأقل!](#)

[٦- \(ديمتري\)..](#)

[٧- مدينة الجماجم..](#)

[٨- المسافر..](#)

[٩- سيأخذونني معهم..](#)

[١٠- الصحوة الأخيرة..](#)

[١١- ماذا تفعل هنا يا وجهي؟!](#)

[١٢- النفق..](#)

[١٣- الجدار الأسود..](#)

[١٤- الختام..](#)

[الفهرس..](#)